ملف العدد..

مستقبل الرقة

الحرمل

السنة الثانية / العدد 38 / 15 نيسان 2016

WWW.ALHARMAL.COM

الحرية دائماً

sayı 38

Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع منظمة بيت الرقة لكل السوريين

الرقة القابعة تحت القصف خارج المسار السياسي.. مدينةٌ منذورة للخراب

الحرمل - خاص

يتناوب طيران النظام والطيران الروسي وطيران التحالف الدولي استهداف مدينة الرقة الواقعة خارج نطاق الهدنة، ووقف العمليات العدائية، دون اعتبار للقوانين الدولية الناظمة لتحييد المدنيين عن النزاعات المسلحة، وتأثير العمليات العسكرية وجرائم الحرب، ويطال في قصفه التجمعات المدنية المزدحمة في وسط المدينة وأطرافها دون أن يحرك المجتمع الدولي بمنظماته الإنسانية أي ساكنٍ لتشميل المدنيين بقوانين الحماية الدولية.

وقد توقف الناشطون في الرقة عن إحصاء كافة أسماء الشهداء والجرحى من المدنيين نتيجة لعنف الضربات وقوة الصواريخ المستعملة التي تمزق الأجساد، وتجعلها أشلاء مقطعة عصية على التوثيق، وفي العمليات الحربية الأخيرة على الرقة يتداول عناصر داعش على حساباتهم خبراً عن قرب إصدار «شفاء الصدور2» في إشارة إلى الفيديو الذي أصدره التنظيم عن الطيار الأردني معاذ الكساسبة العام الماضي، وذلك على خلفية زعمهم إسقاط طائرة سعودية تابعة للتحالف الدولي في محيط بلدة المنصورة غرب الرقة.

هل ستبقى الرقة عرضة للقصف الهمجي للتحالف وغيره، وهل من المعقول أن من يدعي محاربة الإرهاب ضحاياه أغلبهم من المدنيين العزل، وأنه في معركته في الرقة كمن يصارع الفيل في معرضٍ للخزف؟ وهل من المعقول أن أعضاء الائتلاف والحكومة السورية لا يعرفون عن الرقة إلا ما يرد عبر وسائل الإعلام، أو ما يتداوله الناس من إشاعات، وفي جلساتهم الخاصة، يتناولون أقوال تؤكد موت أهل الرقة على أنهم من الدواعش؟ فيما تغيب الرقة وأهلها عن مسرح المفاوضات السياسية في جنيف وملحقاتها.

ملف التعذيب في المعتقلات السورية برسم مجلس الأمن

الحرمل ـ خاص

في تحقيق عنوانه «ملفات الأسد»، عرض الصحافي الأمريكي بن توب في مجلة نيويوركر الوثائق بالغة السرية التي تربط نظام بشار الأسد بالقتل والتعذيب الجماعي، والتي يمكن بحسب المحققين أنها تشكل مع الصور التي التقطها «القيصر»، أكبر ملف قضائي منذ محاكمات نورنبرغ التي تلت الحرب العالمية الثانية.

فيما يقود المحامي الأمريكي كريس إنجلز وحدة جرائم النظام في لجنة العدالة والمساءلة الدولية، وهي جهة تحقيق مستقلة أسست في عام 2012 كرد فعل على الحرب السورية.

قام العاملون مع لجنة العدالة في السنوات الأربعة الماضية بتهريب أكثر من 600 ألف وثيقة حكومية خارج سوريا، تربط التعذيب والقتل الممنهج لعشرات الآلاف من السوريين بسياسة مكتوبة، موافق عليها من رأس النظام «بشار الأسد».

هذه القضية هي أول تحقيق دولي حول جرائم حرب، تقوم به وكالة مستقلة، مثل لجنة العدالة والمساءلة الدولية، والتي تمولها حكومات، ولكن دون ولاية محكمة.

فيما وحده مجلس الأمن القادر على إحالة الأزمة السورية إلى المحكمة الجنائية الدولية بموجب هذه الوثائق.

هَلَكْ شالوا؟! قصيدة جديدة للشاعر الدكتور إبراهيم الجرادي

الربيع فصل دم باهظ الأثمان الدكتورة سماح هدايا

دير الزور من حصار الجوع إلى حصار القتل والتشريد

ذرور الحرمل

العالم أكبر من الخمسة الدائمين..!

بسام البليل

فيما الجلسة الثالثة من مؤتمر جنيف3 على وشك الانعقاد، لمناقشة هيئة الحكم الانتقالي كاملة الصلاحيات التنفيذية، والتي تعني رحيل نظام الأسد عن الحكم، ثمة نُذر خطيرة توشك أن تعصف بالعملية السياسية، على رأسها التعبئة العسكرية للنظام وميليشياته الطائفية التي تهدد باقتحام حلب بغطاء جوي روسي، وكذلك استمرار عرقلة النظام لدخول المساعدات الإنسانية إلى المناطق المحاصرة، إضافة لارتفاع عدد الخروقات وجسامتها.

وهذا ما دعا أمريكا إلى إعادة التلويح باللجوء إلى الخطة باء في حال فشل العملية السياسية، والتي تعني تزويد الثوار بأسلحة نوعية، وربما غطاء جوي، من خلال تعاون مشترك أمريكي تركي سعودي.

وعلى خلفية هذا المشهد ثمة تحرك عربي تركي إسلامي يبعث برسائل إقليمية ودولية شديدة الأهمية، يجب أن تؤخذ على محمل الجد، على رأسها محاولة استعادة مصر بقوة إلى الساحة السياسية الإقليمية والدولية، وإعادة تطبيع العلاقات بينها وبين تركيا من خلال مساعٍ سعودية حثيثة، ودعم سياسي واقتصادي كفيل بإخراج مصر من عزلتها وانزوائها السياسي، إضافة للقيادة السعودية لدور عربي إسلامي تجلّى بمناورات رعد الشمال، وما تسعى إلى تحقيقه في قمة المؤتمر الإسلامي المنعقد حالياً في إسطنبول من تحجيم للتدخل الإيراني في الشؤون العربية، هذا المؤتمر الذي يلتئم تحت شعار «الوحدة والتضامن من أجل العدالة والسلام»، في إشارة صريحة إلى أن المؤتمر الإسلامي ينظر إلى مفهوم العدالة والسلام بقلق، في الوقت الذي يجري فيه تقويض السلام، ومفهوم الأمن الجماعي بمنهجية، وفي غياب شبه كامل لإمكانية تحقيق العدالة عبر المؤسسات الدولية، بحيث يغدو مجلس الأمن بتشكيلته الحالية لا يمثل إرادة المجتمع الدولي، ولم يعد ما يبرر استمراره على هذا النحو الذي فرضه الانتصار في الحرب العالمية الثانية، حيث جاء التعبير عن كل هذه المضامين، بالهجوم الذي شنّه أردوغان على الدول الخمس الكبار، داعياً إلى إعادة هيكلة مجلس الأمن في ضوء الخريطة الدينية والعرقية في العالم، مستثيراً مشاعر المسلمين بالقول: «الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي كلها مسيحية، ولا توجد بينها دولة مسلمة واحدة، وهذا أمر غير عادل».

لقد سبق للدول الآسيوية والأفريقية في عام 1955 أن أعلنت رفضها للاستقطاب الروسي الأمريكي، إبان الحرب الباردة، وكافة أشكال السيطرة الأجنبية، والتمييز العنصري عبر حركة «عدم الانحياز» التي انبثقت من مؤتمر باندونغ، الذي رأى فيه الزعيم الهندي نهرو أنه يعبر عن هوية مستقلة، ودور إيجابي، وليس موقفاً سلبياً إزاء التكتلات، وكان لزعماء مثل عبد الناصر وتيتو الدور البارز في تغيير قواعد اللعبة الدولية آنذاك.

فهل تشكل التحركات العربية، وتصريحات أردوغان الرافضة لأن يترك مصير 196 دولة في العالم بين شفتي الأعضاء الدائمين، عهداً جديداً يبشر بتغيير القواعد الدولية القائمة على القوة، وهل سيكون لعبارة أردوغان «العالم أكبر من خمس دول» ما بعدها..؟!

تعال إلى مكان أجمل..!

عنتر دعيس

لا شيء يوازي اهتمامك بعائلة تحبهم، تعطف عليهم، ترعاهم وتضحي بأجمل ما عندك لترضيهم، أجمل اللحظات تلك التي تقرأ الفرح بوجوههم.

بعد وفاة الوالد أدركت أن أخوتي أصبحوا مسؤوليتي وهدفي، خصوصاً أن راتبه التقاعدي بالكاد يكفينا لأسبوع واحد، والوالدة بصبرها المعتاد تبلع حزنها، وتحاول قدر ما تستطيع أن تعيلنا، وتدفع عنا الفقر والحاجة، تقترض وتتوسل أخوتها وأقرباءها، فقط لتحفظ لنا ما تبقى من أيام كنا نعيشها بوجود معيل يكدح في عمله الوظيفي والإضافي..

تلك الأيام ولّت، وأنا اليوم تجاوزت الثامنة عشر، والبلد توقف فيها كل شيء، وقد دمرتها الحرب، لم يكن طريقي لإحدى الفصائل مبرراً لأمي، فقد رفضت منذ الأيام الأولى أي عمل يهدد حياتي، أنا أو أحد أفراد الأسرة، واكتفت بالتدبير بعد أن توقف عملي. لم يكن لي متسع للتفكير فأصدقائي قد هربوا من الحرب باتجاه تركيا، ودخلوها تهريباً، وهم يهاتفون ويطلبون مني الالتحاق بهم، ويقولون إن العمل متوفر، والإقامة معقولة.. ووو. أقنعت الوالدة بضرورة سفري، وجمعت مالاً يكفيني للسفر والإقامة إلى حين الوصول إلى إسطنبول، حيث سألتحق هناك بالأصدقاء والعمل.. ودعتهم بعد أن اتفقت مع سائق سيارة النقل والتهريب حتى قرية تركية، والعبور من بلدة الراعي إلى قرية علي منطار، تحركنا مع الركاب العابرين مع حقائبهم وأحمالهم.. الطريق مليئة بالحواجز المتنوعة، ونحن ننزل ونطلع حتى وصلنا في الثانية عشر ليلاً إلى أطراف البلدة السورية.. العتمة تلف المكان، وحديث جانبي بين المهرب التركي والناقل الخاص عن كمية المال إلى أن تم الاتفاق، وتم عقد الصفقة، وبعد ساعة واحدة تقريباً كانت السيارة أمامنا، شاحنة طويلة تستخدم لنقل الدواب، حشرونا فيها حتى امتلأت، نساء وأطفال وشباب، السيارة تتقدم باتجاه الحدود، الفرح والخوف متلازمان عند الجميع، السيارة تتقدم دون أضواء، يقول أحد الركاب: المهربون يعرفون الطريق بالشبر، ولا يحتاجون دليلاً، عيونهم تميز الطريق، الدورية أمامنا، طلب المهرب من الجميع الصمت، الآن نحن بين فكي كماشة، قوات الجندرما وداعش، وكلهم يحاولون منعنا من العبور، مرّ الوقت بطيئاً، واختفت أضواء الكشافات، وغادر عناصر الجندرما المكان، تقدمت السيارة، وصلنا إلى نقطة التحرك الميداني مشياً على الأقدام.. لا تخافوا المسير مئتي متر فقط، بدأت رحلة الدخول، تجاوزنا السكة، لا شيء يعيق حركتنا، كل شيء هادئ بين السكة وخندق الترك، أرض منبسطة تغطيها أعشاب فقط، وهي متروكة، بمعنى محايدة بين الدولتين، ومن هذه الأرض خرج ثلاثة عناصر من الجندرما التركية، وكأنهم كامنون لنا وبدأوا بإطلاق صراخ حاد بالتركية، وضرب المتقدمين منّا، وبعض من كان معنا استطاع الفرار منهم باتجاه الأراضي التركية، تركوهم وجمعوا أغراضهم وأضرموا النار فيها، ومن أمسكوه أوسعوه ضرباً بالعصي، والمتخلفون وأنا منهم عدنا إلى ما وراء السكة، وهي الحد الفاصل بين البلدين، وجلسنا نرقب رفاقنا والجنود يتناوبون على ضربهم، وهم يتلقون الضربات بأيديهم، حتى أدموهم، وكان جلّهم من الشباب.. أعادوا المجموعة كاملة إلى الأراضي السورية، واختفى المهربون والعتالون، وبقينا حتى الفجر، يرقبنا عناصر الجندرما ويصرخون: «ادي ولان ادي»، ونحن نترقب لحظة ذهابهم إلى نقطة أخرى.. وأخيرا حضرت سيارتهم، استقلوها بعد مخابرة على القبضة، وغادروا ربما لنقطة تهريب أخرى.. الضوء جيد. بدأنا نترقب ذهاب السيارة، بعضنا ممن كان قد اجتاز الحدود أكثر من مرة، فجأة استقام البعض واتجه إلى الأرض التركية، وبدأوا بالركض.. السيارات من جهة تركيا تستدعينا بالإشارة، ركض الناس، وكنت آخرهم، بعد أن تأكدت من خلو المكان بدأت العبور، وكان سباقاً نحو الخندق، تزاحم الناس في المنطقة الفاصلة، سقط البعض وداسوا عليه قبل الوصول إلى الخندق، الذي يعتبر طوق نجاتنا، بدأ عناصر الجندرما بإطلاق النار، أزيز الرصاص إلى جانب أذني، ما زلت أركض، الأشياء تتغير من أمامي، حتى شكل شروق الشمس تغير، انقلبت الدنيا حمراء، أحسست أن قدمي لم تعد تحملني، لم تكن جزءاً مني، سقطت على وجهي، تمددت على الأرض، سبقني كل الناس، حاولت النهوض، ولكن عبثاً فالدنيا قد تغيرت، توسدت التراب، أصبح كل شيء أسود، لم أعد أرى شيئاً أمامي، عيناي مفتوحتان، عبثاً لم أستطع فعل شيء. شعرت أني خفيف تماماً، أسرعت بالوقوف، سابقت أصحابي حتى السيارة، ووصلت القرية وحدي، كل تركيا بفضائها الواسع أمامي، مدن صغيرة وكبيرة اجتزتها وكأني أسبح في الفضاء، هذه إسطنبول كما وصفها أصدقائي، تعرفت إلى مسكنهم، كانوا نياماً في مكان العمل، اقتربت أكثر، ها هو أكثرهم ضجيجاً وقرباً إلى قلبي، حاولت إيقاظه دون جدوى، حاولت أن أهزه لم أستطع.. لماذا أنا خفيف هكذا وكأني خارج العالم؟.. تيقنت من ضعفي.. ضوء مبهر، هذا والدي إنه يسير باتجاهي، مدّ يده إلي وقال بهدوء: «تعال يا ولدي آخذك إلى مكان أجمل..».

ضاعت الثورة بين الائتلاف وحكومته..!

بشير الهويدي

بعد دخول ثورتنا سنتها السادسة، لم يقدم الائتلاف وحكومته والكثير من مؤسسات الثورة أي شيء، كان التخبط وسوء الأداء السياسي والشكل الإداري الذي استورد أولاً عفن النظام، وتميز عناصره بنقص الكفاءات وهيمنة الأجندات الإقليمية والدولية، هي ما يمرر عمل من يدعون أنهم الواجهة السياسية، وممثلو الثورة والشعب السوري، ولهذا كان المنتج ضعيفاً ومتواضعاً، والنتيجة المنطقية لهذا الأداء، فالواقع هو وجود متغيرات دولية وإقليمية، وتغيرات متوقعة على الساحة السورية على الأغلب ستفضي إلى حل سياسي، قد يكون مقبولاً أو ربما حلاً يأتي على مقاس واقع الحال.. وهذا يتطلب وجوهاً سياسية ذات خبرة ومصداقية، يحمل فهماً عالياً لواقع السوريين، يؤطر من خلال جسم أو كيان سياسي جديد يقود المرحلة القادمة بحرفية ومهنيه عالية بعيداً عن حالة المراهقة السياسية التي ميزت المرحلة السابقة!...

مؤتمر تأسيسي لرابطة عمال دير الزور في أورفا

الحرمل ـ خاص

قال السيد عيد السلطان، رئيس رابطة عمال دير الزور: «إن نظام الأسد، الذي رفع شعارات فارغة حول حماية حقوق العمال، دمر على مدى أربعين عاماً كل المكتسبات العمالية في سوريا من خلال فساد ممنهج، وعبر سياسة التفقير التي انتهجها، وطالت كل مكونات المجتمع السوري».

جاء ذلك خلال المؤتمر التأسيسي لرابطة عمال دير الزور المنعقد في مدينة شانلي أورفا التركية، وحضره حشد من عمال المحافظة المؤسسين للرابطة.

وأضاف السلطان بأن أحد أشكال دعم الثورة الشعبية في سوريا، أن يقوم العمال بتأسيس نقاباتهم، وروابطهم المستقلة، مؤكداً ضرورة العمل على إنجاح عمل الرابطة، وتقديم الخدمات للإخوة العمال وأسرهم، والتأسيس لروابط ونقابات تكون مهيأة لخدمة الوطن، تحمل أفكاراً حرة، وقبول الآخر، تحت شعار «سوريا وطن للجميع»، لافتاً إلى ضرورة التأكيد على دور الطبقة العاملة في مشروعات إعادة الإعمار في ربوع الوطن، الذي طاله التدمير الممنهج من قبل عصابات الأسد وميليشيات الحقد الطائفي، خصوصاً فيما يتعلق بإعادة بناء وتأهيل المعامل والمنشآت الصناعية التي دمرتها آلة الحرب العمياء.

وفي نهاية المؤتمر تم التوافق على تسمية المكتب الإداري لرابطة عمال دير الزور وفق التالي: عيد السلطان، موفق سليمان، عبد الله الغضب، لؤي وكاع، سامر الجهام، معمر الشاكر، وعادل الحسين. وتسمية المشرفين على الرابطة، وهم: عزيز حمدان، خالد حويج، وليد بشعان.

المهاجرون وخيارات المستقبل

علي الحسين

كيف للإنسان أن يخرج من جلده، ويغامر بحياته مخلفاً الماضي والحاضر وراء ظهره. كيف للشيوخ والأطفال والنساء أن يعبروا الحدود بحراً بالبلم والموت يتربص بهم في كل لحظة؟ من أين تأتيهم القوة التي تمكنهم من السير آلاف الكيلو مترات دون الاكتراث بالمجهول؟ كيف يتحدون الظروف الجوية القاهرة وهم يفترشون الأرض ويلتحفون السماء؟. فقط عندما تتساوى الحياة بالموت ويفقد الإنسان الأمل بالغد يضطر حينها أن يركب المجهول، ويطوي كل شيء وراء ظهره ليسير وراء فسحة الأمل المنبعثة بداخله حباً بالحياة وبحثاً عن الإنسانية.

السوري أمام خيارين

عندما يصبح السوري أمام خيارين أحلاهما مر فلا بد له من البحث عن خيار ثالث. فأما أن يعيش في ظل النظام الحاكم، والذي لم يعد مسيطراً على معظم الأراضي، وأما أن يعيش في ظل الفصائل الأخرى والتي تحكم وتتحكم بباقي الأراضي. للأسف الظروف لدى الطرفين متشابهة والحياة شبه معدومة إلا عند الذين أصبحوا من هواة وممتهني القتل. لقد سخروا الموارد الطبيعية لشراء الأسلحة القاتلة للسوريين، وجعلوا من المدارس بيوتاً للمشردين، وأحيانا معتقلات للمناهضين. الطفل السوري غيب عنه المستقبل، وطلب العلم، وأصبح عارفاً لكل أسماء وأنواع الأسلحة، وأحيانا كيفية استعمالها. الأراضي السورية أصبحت ملعباً للمتنافسين، ولبيع وتجربة الأسلحة المكدسة بالمستودعات.

الخيار الثالث للسوريين

سوريا أرض الحضارات أصبحت مقبرة جماعية يريد البعض أن يقبر تاريخها وحضارتها ويزرع التجزئة والجهل في عقول أبنائها الذين أصبح حلمهم تأمين أبسط مقومات الحياة. لذلك كان الخيار الثالث أمام السوريين هو الهجرة، والبحث عن مقومات للحياة والإنسانية التي تتغنى بها الأمم المتحدة والعالم الحر الذي صار يرتوي من دماء الأبرياء، ويتلذذ بمنظر المصابين من النساء والأطفال، ويتفرج على هدم الحضارة الممتدة إلى ما قبل التاريخ.

للأسف العالم الحر ومن خلفه الأمم المتحدة يتعاطفون مع الضحية، ولكنهم يكنون كل الاحترام للقتلة.

أوربا قبلة المهاجرين

إن دول الاتحاد الاوربي تعيش حالة من الاستقرار والرقي والرفاه مما يجعلها حلم من لا أمل لديه بغد أفضل، وأوربا التي خاضت حروب عدة، وعانت الكثير من القهر والاستعمار هي أكثر الدول التي تتعاطف مع قضية اللاجئين، ولكن بنسب متفاوتة، ودولها تبدو الأكثر بعداً عن الصراع والقتل الحاصل في سوريا، وهذا ما يشجع البعض للاتجاه إلى أوربا للخلاص من الواقع المؤلم.

إن المهاجرين يبحثون عن المستقبل الضائع في بلدهم وعن الإنسانية المغيبة بمعظم البلدان، ويتجهون إلى بلاد لم تسهم بقتل أبنائهم وهدم مدنهم.

ألمانيا الاتحادية هدفاً

إن المانيا التي عاشت ظروفاً مشابهة لتلك التي تحدث في سوريا من خلال الحرب العالمية التي خاضها الحلفاء ضد بلادهم، ولو بزمن أقل هم الأقدر على فهم الواقع المر الذي يعيشه السوريون، وإن الدمار الذي حدث لبرلين وللمدن الألمانية الأخرى هو الأكثر شبهاً للدمار الذي طال كل المدن السورية الآن، مما جعل من الألمان المعمرين الذين عاصروا الحرب العالمية الأكثر تعاطفاً وتفهماً للمهجرين. لذلك نجد ألمانيا من أكثر الدول التي تساعد المهاجرين، وتعمل على دمجهم بالمجتمع وإعادة تأهيلهم لكي يكونوا متفاعلين وفاعلين بالمجتمع الألماني. إن الألمان الذين عانوا من نتائج الحرب بما رافقها من قتل للأبرياء، واغتصاب للنساء هم الأكثر قدرة على التعايش مع السوريين وفهم معاناتهم.

ما بعد الموافقة على اللجوء

من المفترض على اللاجئ، وبعد إنهاء إجراءات الإقامة اتباع كافة الإجراءات لتعلم اللغة الألمانية والاستعداد للاندماج بالمجتمع الجديد من خلال الدراسة العلمية، أو المهنية والسعي لإيجاد عمل يتم من خلاله تأمين لقمة العيش، والتخلص من شعور المذلة الذي يترافق مع المساعدة، وبذلك يكون هناك طريقين عليه اتباع إحداهما بعد انتهاء الحرب والأزمة. الطريق الأول هو البقاء في ألمانيا والاندماج، والمساهمة في الحياة اليومية، والطريق الثاني هو العودة إلى الوطن الأم حاملاً سلاح العلم والمعرفة والخبرة التي اكتسبها من الشعب الألماني الذي تمكن من الوقوف على قدميه بعد الحرب العالمية، وبناء ألمانيا من جديد وبزمن قياسي، والاستفادة من تلك التجربة في بناء سوريا الحديثة بعد انتهاء الصراع.

حين تقتل الرصاصة أحلامهم..!

عروة المهاوش

كأي حارة دمشقية عريقة يعرف أهلها حواريها، وحجارة بيوتها قبل شخوصها وأهلها الطيبين وبيوتها المملوؤة بقيم تربى عليها أجيال وأجيال.

هنا أيضاً في مخيم اليرموك الذي يقطن فيه النسبة الكبيرة من الفلسطينيين، يتوزع الدفء في حواريه الضيقة، وتشع ابتسامات من وجوه لا تعرفها، لكنك تلمح الطيبة والقهر فيها أيضاً. لم نكن نحن السوريون ندرك حجم ألمه حين غادروا وطناً لهم ذات يوم لينتهي بهم الأمر في شتات كان له بداية ولا تلوح له نهاية في الأفق القريب. أحبت سمرته واندفاعه للحياة، وأحبها لطيب وخلق قد يندر في أيامنا هذه، ونمى الحب حتى باتت قصة عشقهما حديث الأمسيات وجلسات النساء أمام البيوت حين تنبعث رائحة القهوة والأراكيل من الأزقة الضيقة.

حين بلغ الحب ذروته كان المخيم كغيره من الأحياء الدمشقية مشتعلاً أيضاً بالحرب والقتل والحصار، وكان يضج أيضاً بالمحبة والتضحية، فكم من شاب قضى نحبه لإيصال ربطة خبز لامرأة مسنة أو شيخ طاعن، وربما لفتاة جميلة يأمل يوماً أن تصبح زوجة له.

صراع سارة مع أهلها استمر طويلاً حين قرر الأهل مغادرة سوريا نحو أوربا لم تنفع دموعها، ولا إصرارها على البقاء، كانت قد وعدت خطيبها علاء بالموت سوية على أرض المخيم أو العيش حتى نهاية العمر، وكيف ستلقي نظرة الوداع على حبيب أحبته كوطن، وكيف سيكون الوداع؟ لم تجف دموعها في الطريق نحو المطار، وفي الطائرة، وحين الوصول، وفي الليل الطويل، فهي غادرت وطناً كبيراً ووطناً أكبر، همها الأكبر كان النت ونشرات الأخبار، وحين تسمع صوت القذيفة يفز قلبها بين الضلوع صارخة دون وعي منها: علاء.. علاء.. تمر الدقائق مخيفة، وكل ثانية منها ينبت في شعرها الحالك السواد شعرة بيضاء جديدة وهي التي لم تتجاوز الخامسة والعشرين ربيعاً، ولا تهدأ حتى تطمئن على حبيبها، وأهل حييها، وعموم المخيم، ومع اشتداد الحصار والشوق لحبيبها قررت العودة إلى دمشق، ولم يثنها عن ذلك خلافها مع أهلها وأخوتها في محاولة إقناعها بعدم العودة، فالحياة هنا شبه آمنة، ويتوفر لها كل شيء لكن محبتها لخطيبها كانت أكبر من كل المغريات.

عادت وانتظرت طويلاً على الحواجز، تنتظر تصريحاً لدخول المخيم، كانت كل دقيقة تمر عليها تشبه الدهر، وثقيلة جداً، فيما كان خطيبها داخل المخيم يواصل تقديم المساعدات للأهالي.

طلقة قناص كانت كافية لترديه قتيلاً ويتناثر دمه الطاهر على الخبز الذي كان يحمله حالماً بدخول عروسه.

حينما وصلها الخبر زاد إصرارها على الدخول أكثر حتى تقبل تراب قبر خطيبها كلما سنحت لها الفرصة، دخلت المخيم أخيراً واستقرت في بيت أهل خطيبها علاء وتابعت عمله بإيصال المساعدات القليلة للناس، وفي يوم آخر استهدفها القناص ذاته ليحقق لها حلمها بأن تدفن بالقرب من علاء.

عام كامل قد مرّ على استشهاد سارة، وقصة حب لم تكتمل، ولم تتناقلها وسائل الإعلام، قصة حب سوف ننساها بمرور الأيام، لكن القبر سيبقى شاهداً على أجمل قصص الحب في زمن الحرب.

الحولة

مهند البكور - حمص

منطقة سهل الحولة، تقع إلى الشمال الغربي من محافظة حمص، كان يقطنها قبيل الثورة السورية 110 ألاف نسمة، تتكون منطقة سهل الحولة من «تلدو - كفرلاها- تلذهب - تجمع البرج - الطيبة الغربية»، وتشرف المنطقة على مدن ريف حماة الجنوبي عند الحدود الإدارية لمحافظة حمص، وهي «طلف - حربنفسه - عقرب»، ويبلغ عدد سكان منطقة سهل الحولة حالياً ما يقارب 70 ألف نسمة، بعد عمليات النزوح والقصف الممنهج الذي اتبعه النظام لتركيع الأهالي، وازدادت وتيرة الهجرة القسرية بعد ارتكاب النظام مجزرة الحولة في منتصف العام الثاني للثورة في 25 أيار/مايو 2012.

يقع على أطرافها أكبر الثكنات العسكرية التي تتبع للنظام في المنطقة وهي «مؤسسة المياه وحاجز قرمص»، احتلت قوات النظام المؤسسة في 20 نيسان 2012 وبما أن المؤسسة تقع على تلة ترتفع 60 متراً عن سطح الأرض، فهي تتيح لعناصر النظام كشف مساحات واسعة من أراضي الحولة، وتعد المؤسسة مركز التنسيق بين حواجز النظام المتواجدة على أطراف المنطقة، وكما تشرف المدينة على طريق حمص مصياف الذي تم قطعه في منتصف عام 2012 وفي السنة ذاتها طرد الثوار قوات النظام، وأعلنت المدينة محررة بشكل كامل، وبعدها بدأت معاناة الأهالي تزداد مع كل يوم، حيث أحكمت قوات النظام سيطرتها على المنطقة من كافة المحاور وأغلقت كافة الطرق المؤدية إلى المنطقة، كما تم احتلال المشفى الوطني، الذي يحمل اسم مشفى «الشهيد عبدالقادر جورية» بعد قيامهم بتخريبه، وسرقة محتوياته، وحرق المعدات داخله، وجاء حينها إعلام النظام ليقول إن أهالي الحولة من قام بتخريب المشفى، وبعدها بأيام قامت قوات النظام بالتمركز داخل المشفى وقطع طريق «الحولة-حمص» بشكل كامل.

الوضع الإنساني في منطقة الحولة وما حولها:

ما زال أهالي منطقة الحولة يعانون من نقص المواد الإغاثية، خصوصاً الوقود، حيث يصل سعر لتر البنزين إلى 750 ل.س وسعر لتر المازوت إلى 600 ل.س وتفاقمت المعاناة بعد فقدان الغاز وارتفاع سعره بشكل جنوني، حيث أصبحت أسطوانة الغاز تباع بمبلغ خيالي قدره 15000 ل.س، وخلال المعارك ترتفع لتصل إلى حدود 20000 ل.س، ومع عدم وجود مصادر دخل لمعظم المواطنين، فهم لا يستطيعون شرائها وهذا ما دفعهم للطهو على الحطب وخشاش الأرض، علماً أن سعر طن الحطب وصل إلى 70 ألف ليرة سورية بداية هذا الشتاء ليرتفع مع اشتداد البرد والعواصف ليصل إلى مئة ألف ليرة سورية للطن الواحد.

* الوضع الميداني في الحولة وما حولها:

ما زالت منطقة الحولة بكاملها تحت سيطرة الجيش الحر «فيلق الشام، جيش الإسلام، حركة أحرار الشام الإسلامية، جيش الأبابيل، جيش التوحيد .....»، ولا تواجد في منقطة الحولة لعناصر جبهة النصرة أو فصائل تتبع لها، وتحافظ الفصائل المقاتلة والإسلامية على أماكن تمركزها على محيط المنطقة، وهي على استعداد دائم لصد أي محاولة لتقدم قوات النظام، كما تقدم الثوار خلال معركتهم الأخيرة في ريف حماة الجنوبي، حيث تمكنوا من السيطرة على حاجز البشاكير واغتنموا عدداً من الذخائر والأسلحة منها مضادات طائرات من نوع 14.5 و23 مم.

*الوضع الطبي في عموم منطقة الحولة:

تعاني المشافي الميدانية في منطقة الحولة من فقدان لعدد من المواد الطبية، والأدوات والمستلزمات الطبية، خصوصاً المواد المتعلقة بالجراحة العصبية، وأي مدني يصاب بطلق ناري في رأسه، من الصعوبة إجراء أي عملية له، وتزداد حالته سوءاً بسبب الحصار المطبق، والذي يمنع فرق الإسعاف من إخراج أي مصاب إلى المدن أو الدول المجاورة للعلاج، ويعاني المشفى الميداني من نقص بالمواد الإسعافية الأولية كالشاش والسيرومات وغيرها...

دير الزور من حصار الجوع إلى حصار القتل والتشريد

ديرالزور - الحرمل

عام كامل على انقطاع الكهرباء عن أهالي دير الزور المحاصرين في أحياء الجورة والقصور والموظفين وهرابش الواقعة تحت سيطرة النظام، وتبادل القصف بين قوات النظام وعناصر داعش، والمناطق المستهدفة على العموم هي البنى التحتية الخاضعة لسيطرة الجانبين، فمدفعية النظام تقصف المولدات التي تغذي مدينتي البوكمال والميادين، فيرد التنظيم بقطع الكهرباء على المناطق الخاضعة لسيطرة النظام، والخاسر الأول والأخير هو المواطن البسيط والفقير الذي لا يملك قوت يومه، وازدياد معاناة الأهالي مع دخول حصار تنظيم داعش شهره الثالث، ما أدى لغلاء المحروقات وفقدانها في أغلب الأحيان، بينما ما يزال النظام يقوم بتشغيل المولدات الخاصة، وإعادة الكهرباء لقطعه العسكرية، ولفروعه الأمنية، ولمقرات القادة والشبيحة، ومبنى المحافظة وبعض دوائر الدولة، وتأمين المازوت لعمل هذه المولدات.

في ظل هذه المعاناة وغلاء أسعار المحروقات التي تجاوزت المعقول، حيث وصل سعر لتر المازوت إلى 1700 ليرة، وسعر لتر البنزين 3700 ليرة، ابتكر بعض المواطنين تجارة جديدة، هي افتتاح محلات لشحن الكهرباء، حيث يعتمد أغلب الأهالي المحاصرين على إضاءة منازلهم على الليدات وبطاريات السيارات الصغيرة والكبيرة، وأسعار الشحن تدل بوضوح على حجم المعاناة الكارثية التي يتعرض لها أهل دير الزور، ووصل سعر شحن الهاتف إلى 100 ليرة، وشحن البطارية الصغيرة (6 أمبير) 100 ليرة، وشحن البطارية الوسط والكبيرة 200 ليرة في الساعة.

كما أدى انقطاع الكهرباء لتوقف محطات المياه عن العمل، حيث تعمل هذه المحطات كل أربعة أيام أو أكثر، وذلك حسب توفر مادة المازوت، ويكون ضخ هذه المحطات ضعيفاً، ولا يصل إلى أغلب الحارات، لأن فترة ضخ المياه قليلة، وذلك بحسب كمية المازوت التي تصل لهذه المحطات، كذلك أدى انقطاع الكهرباء لتوقف الأفران عن العمل، ولنقص كبير بمادة الخبز حيث تعمل الأفران بمناطق سيطرة النظام حسب توفر مادة المازوت.

وفي ظل هذا الحصار المزدوج، تقوم قوات النظام وشبيحته من عصابات الأمن العسكري وميليشيات الدفاع الوطني بحملة اعتقالات واسعة ومستمرة للشباب في أحياء الجورة والقصور وشارع الوادي وسوق الجمعة للتجنيد الإجباري بصفوف قوات النظام والشبيحة، وللقيام بأعمال السخرة. بينما تستمر الاشتباكات وتحتدم على أسوار المطار العسكري، ويتناقل عناصر داعش خبر استهدافهم لمروحية في داخل المطار وقيامهم بتدميرها. بالتزامن مع قيام طيران النظام الحربي بشن غاراته المتواصلة على محيط مطار دير الزور العسكري وحي الصناعة والمناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم في عموم محافظة دير الزور، ولا يكف عناصر التنظيم عن اعتقال المدنيين في مناطق سيطرته، والتهم جاهزة، وحسب ما تقتضي مصالحهم. كما شهدت مدينة دير الزور، رغم ظروفها الصعبة، الانتهاء من حملة لقاح الأطفال لمرض الحصبة.

أهالي دير الزور بين مطرقة النظام وسندان داعش، فمن حصار الخبز، إلى حصار الجوع، ومن اعتقال داعش إلى اعتقال النظام وشبيحته، وبين هذه وتلك ما زال أهل دير الزور، يقلبون أوجه الموت، علّهم يجدون الأسهل، وفي ظل صمت دولي، وغياب للصوت الإنساني لمنظمات حقوق الإنسان، وصمت المعارضة بمؤسساتها كافة، وخذلان في جنيف من قبل المتفاوضين، وغياب أصوات المتنازعين الدوليين في أروقة وكواليس وزارات الخارجية في دمشق وطهران وأنقره وموسكو وواشنطن والرياض وعموم أوربا الغربية، حول إمكانية تحييد المدنيين عن النزاعات المسلحة في كل أنحاء سوريا.

مستقبل الرقة

مجلة الحرمل
مؤسسة توتول الإعلامية

أمان
شبكة أمان سوريا

نواصل في القسم الثاني قراءة مستقبل الرقة.. الرقة ما بين الواقع المتشح بالسواد، والتدمير والقتل المنهج الذي يستهدفها كل يوم، هل ستنتقل من الظلام إلى فضاءات جديدة للحرية؟

المفردات الجديدة نقرأ من خلالها مسائل تتعلق بملف العدالة الانتقالية والاستبداد ونظم العمران المستقبلية، وضحايا الإرهاب المنظم من قبل قوى الاستبداد المتمثلة بالنظام السوري المجرم وحلفائه من التنظيمات الدينية المتطرفة.

ملف «مستقبل الرقة» الذي نضعه بين أيدي القراء هو مجرد محاولة صغيرة في درب طويل وشائك، لكنّنا نؤكد بأنها جادة، وتأتي في إطار تفاهم مشترك مع شبكة أمان، التي تدعم مثل هذا التوجه.

معضلات ملف العدالة الانتقالية

يرتدُ معنى ومبنى مفهوم العدالة الانتقالية إلى مبدأ وهدف عام، يقوم على التصالح بين مكونات المجتمع السوري أساساً، أفراداً وجماعات، فهو المعنى الذي يجب أن تؤوب إليه كل معاني العدالة مثلما ترتدُّ الأرقام الحسابية إلى الرقم واحد عوداً إلى مشتقها الذي تضاعفت منه؛ ومعنى العدالة الانتقالية يتلخص في مجموع متضادين، لا مندوحة ولا مفر من الجمع بينهما في وحدة حكم قضائية، تحققهما دون نفي جدلي كامن في أساسيات المشكلة: فالمجتمع السوري معظمه، وربما عشرات الآلاف من مواطنيه، قد تحارب ووقف بعضُه ضدَّ بعضه الآخر، مع تصور حجم الانتهاكات المتبادلة بين الأطراف المتعددة، وتوقع مشاعر الثأر والأحقاد التي ستبقى كامنة، وستظل تستصرخ مطالبة بحقها، أو ما تعتقد أنه حقها. ولقد خلق هذا الوضع الذي لا سابقة له حالة لا توصيف لها من تعدد النزاعات والحقوق، وملفات ادعاء خاصة بالأفراد، وعامة هي من حقوق المجتمع والوطن، وإن إنزال العقوبات بحذافيرها وتحققها، يوجب شرط كمال العدالة، مع اليقين المتصوَر لما يمكن أن تستنفده هذه العدالة من قوى المجتمع السوري الواهن الجسد، والمثخن بالجراح، أو ما تبقى من تلك القوى، بعد تصور المضي في تنفيذ حق أحكام الإعدام والسجن والتغريم وغير ذلك بمستحقيها.

من هذا المدخل، أوجب التصور البنائي نظرياً، أن مفهوم العدالة الانتقالية هو مُرَكَّب مدلولَيِّ الطلب والنتيجة في توافقهما المنطقي، فالانتقال يستغرق مفهوم نهاية الحرب ويضمن المفهوم بهذا المعنى، والعدالة تستوعب معنى التصفية النهائية لمندرجات الكارثة الوطنية، وعقبى ما سوف تتركه آثارُها ومضاعفاتُها في حياة جماعات الناس التي شاركت، أو أشركت، في تقاسم الخراب والقتل المتبادل، أو كانت من ضحاياه بوصفٍ من الأوصاف الحقوقية القابل لتعريف الأطراف المشتركة في الاقتتال، ووصف مسؤوليتها، ومقدار الفداحة الجرمية المتبادلة بين مجموعٍ لا متعينٍ من أطراف مختلفة ومشاركة، وعلى هذا التصور النظري نجد أنفسنا، ولو في المرحلة النظرية من بناء التصور، أمام مرحلتين غير قابلتين للتفكيك في مستوى التطبيق الواقعي: (الانتقال) الذي يفيد معنى وقف الحرب والعمليات القتالية، و(العدالة) التي تفيد في التأسيس البنيوي لهذه الانتقالية، وتحيطها بشروط الرسوخ والاستمرار والديمومة الصحية الطبيعية، بالمعنى السياسي والاجتماعي والحقوقي الواجب في مضمونها.

المرحلة الانتقالية إذن تعني اعتذاراً جماعياً أو فردياً عن مرحلة الاقتتال، واعترافاً حراً متبادلاً وصريحاً بالآخر وحقه، وإبداء استعداد غير مشروط للانتقال نحو المرحلة الجديدة، وقد يكون من أبلغ أشكال تعبيرات هذا الاعتذار عن المرحلة السابقة في الدعوة إلى مؤتمر وطني شامل، يستوعب هذا المعنى المؤسس لسوريا الانتقالية ويضمنه، فشرط تحقيق الانتقال والقطع مع الماضي هو التوطئة الشرطية للدخول في العدالة الانتقالية وحَوكمة إنجازها واقعاً فعلياً.

لا يمكن التنصل فعلاً من حقيقة أن كثيراً من الظروف والحيثيات التي قدَّمت لظروف الحرب والقتال، كانت مستوعَبة في نقائص الخلل العام الذي أضر بالوطن والوطنية، وأن هذا القصور والعطب الكامن قد سرت مضامينه السببية في عروق المجتمع والدولة السورية منذ وقت مبكر، فإذا تمَّ البناء نظرياً على أن الحيف والإجحاف المجتمعي كان شمولياً ومتضمناً في بنية القانون والدستور العام، وطبيعة الدولة وطرائق الحكم، وإعادة تشكيل العلاقات المختلة بين الفرد والجماعة، وبين التكوينات المجتمعية الأكثرية والأقلية، وفي البنية الصميمة لمدنية الدولة السورية بعامة، فإن هذا المضمون، استطراداً، سوف يفضي إلى أن تمدد مراحل هذا الخلل التاريخي البنيوي والاحتفاظ بطبعاته المنسوخة والمتوارثة قد أورمت أسبابه وأزمنتها، فكانت سبباً مضمراً ومستبطناً في انفجار الثورة واستفحال الاقتتال، لا تستطيع نتائج الحرب الأهلية أن تقفز فوق بيِّناته ومضامينه، مهما تعاظمت كلفة النتائج الكارثية التي يُتوقع أن تخلفها، من هنا كان التصور الأولي للانهيار الكامل لبنية القضاء السوري، خلال السنوات الماضية، يستدعي الإسراع في تكوين جسم قضائي بديل:

1ـ يتصف بالحياد في منظور غالبية السوريين، وأحد اقتراحاتهم واختياراتهم، وأن يكون ذا خبرة وكفاءة عالية في الاختصاص.

2 ـ ضامن للعدالة وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، ولديه وعيٌ عالٍ بالمسؤولية وحساسية المرحلة، وطبيعة المشكلات التي أنتجتها الحرب.

3 ـ يمتلك المقدرة والخبرة على تجاوز هذا الملف، بالسرعة المكافئة لتطور المرحلة المقبلة في حياة السوريين، والتصفية والقطع مع الماضي على آلامه ومراراته، دون عقابيل أو رجوعات انتكاسية قد تفتح جراحاً جديدة، أو تعين على استعادتها.

4 ـ الإتاحة السريعة للسوريين في التخلص فوراً من البدائل العرفية والدينية الطارئة، والتي اضطروا إليها أو أجبروا عليها خلال سنوات الثورة والحرب؛ وكذلك التخلص من التشريعات القانونية التي رسَّمت لأوضاع قانونية شاذة سابقة لكارثة الحرب، أو كانت تقدمة موطئة لها، وأخذاً في الاعتبار أن بعض مُلزِمات القانون جرى تشريعها في مراحل سياسية خاصة بأغراض سياسية غير وطنية الصَرف والدوافع، وبتقديرات من واقع حكومي مأزوم أو مغرض، في مرحلة من مراحله السياسية؛ وهذا واقعاً ما يستدعي العمل على تأسيس سلطة قضائية جديدة وكاملة الاستقلال، وبالتدرج المحتمل والمطلوب، لكمال المؤسسة القضائية بشروطها المأمولة والمعززة لبنية أمة ديمقراطية حديثة الولادة، ومستوفية لكامل مواضعات التقدم والحداثة.

5 ـ ضرورة العمل على وقف تنفيذ الأحكام غير القابلة للرد، كالإعدام، نظراً لاستحالة القطع بتحقق العدالة الكاملة لأي متهم، مهما كانت جريمته في الظروف الحالية.

أخذاً بما تقدم من اعتبارات سبقت، وكتتويج رئيسي وتفصيل أساسي يؤسس لمضمون ما سبق، نرى أن شعار العدالة الانتقالية للمرحلة المقبلة ينبني على أن أغلبية السوريين قد أصبحوا ضحايا ويلات الحرب التي شنها النظام والإرهاب عليهم، وبهذا المعنى وهذه السابقة، فإنهم لن يقبلوا قطعاً بالقفز إلى السلام قفزاً، بل ولا استطاعة ممكنة لذلك، دون تجاوز مرحلة العدالة الانتقالية. والتي نقترح العمل على التحرك للبدء بها كتتويج للمرحلة الانتقالية ضمن دائرتين متواشجتين بنيوياً:

الأولى: نرى أن تحكم المصالحات في مرحلة العدالة الانتقالية في الاختصاص، محكمة خاصة بهذا الملف، تسمى من قبل مجلس قضائي أعلى، وتحدد مهامُها ومدة عملها بتاريخ محدد، بدءاً وانتهاءً، كي لا تتحول إلى محكمة دائمة، وأن تساعد الدولة السورية والمجتمع الدولي ومنظمات هيئة الأمم المتحدة على دعمها وتعزيزها بدفع انفاقات المصالحات، والتي قد تكون ديات القتلى فيها جزءاً من خيارات الصلح، دون أن تستبعد الرجوع إلى الكفاءات والواجهات العشائرية والمجتمعية في المشورة، أسلوباً لعملها وتقويماً واستكمالاً له، حسب مقتضى القضايا المطروحة أمامها.

الثانية: في العرف الاجتماعي السوري ثمة موروث قديم (ربما ترجع أصوله إلى فترة ما قبل الإسلام)، عُمِل على إحيائه في المفاصل واللحظات التاريخية الحرجة، والتي كلفت الواقع المجتمعي باهظاً من سفك الدماء وثقلاً من الأحقاد والثارات، رنحت توازن جميع أطراف المجتمع وأنهكتهم، وحمَّلتهم من الأعباء ما لا يطيقونه؛ الأمر الذي كان يدفع أطراف الصراع عادة إلى مبدأ اصطُلِح على تسميته باسم «الدِفْنان»، من الدفن، ويُلحظ في ذكاء الاشتقاق اللغوي الألمعي أنه اختار صيغة المبالغة التي توحي بشدة الاستغراق في الدفن، والذي كان يعني بالنسبة للمتوافقين المتصالحين أن يتنازل الجميع عن تفاصيل حقوقهم المفردة والصغيرة، وأن تُطرح جميع أوزارها جانباً مقابل الفوز بالجائزة الثمينة، والتي كانت تقضي بإقرار شروط سلامٍ لا رجوع عنه ولا نكوص فيه، سلام بين المتحاربين يؤكد على طابع منح متبادل للأمان العام، والتوكيد عليه من خلال إقرار مبدأ الدِفنان، والذي يعني صلحاً يدفن الماضي إلى الأبد،لا يُنتكث لأي ظرف تحت طائلة عار النكوث والرجوع عنه، والتي تحمل في المعنى العام لطخة الخيانة؛ وإعطاء كلمة شرف جماعية متبادلة بين طرفين خصمين على دفن التناحر والخصومات فيما بينهم دفناً أبدياً.

في حالة السوريين، حيث استحرَّ الدم والثأر بين أبناء قرى لا تبعد أحياناً عن بعضها سوى كيلومترات، وأحياناً بين أهالي البلدات والقرى نفسها؛ هذه المبادئ ربما تكون مقترحاً، له من الفضائل والميزات ما لا يُجحد، في حالة التصالح والعدالة الاجتماعية الانتقالية، كتحد راهن لا بد أن يعبره السوريون يوماً ما، حين يختارون الإسراع في طي صفحة الماضي البغيضة والتفرغ لبناء وطن حديث معافى البدن ووطيد الأساسات.

مجموعة العمل التأسيسية لتيار: «سوريون»

أهل الرقة: ضحايا الإرهاب.. وضحايا محاربة الإرهاب!

محمد الصليبي معن

غادر من غادر من أهل الرقة، وبقي فيها من لا يملك أجرة السفر. وتحت ضغط غلاء المعيشة ومصاعب الحياة التي يتوقعونها خارج أسوار رقتهم، ظلوا في مدينتهم الغالية على قلوبهم وقلوبنا جميعاً.

مدينتهم التي احتلّها غربان الظلام، وجعلوها عاصمة لدولتهم المزعومة، ظلوا هناك ينتظرون ماذا.. ولأي شيء هم منتظرون.. حتى هم أنفسهم لا يعرفون؟!

وبقينا نحن الذين غادرنا كرهاً.. ننتظر معهم الموت المخيم علينا جميعاً.. وليس أصعب من الموت إلّا انتظاره .

أطفال أبرياء، ونساء وشيوخ.. هؤلاء هم أهداف وإحداثيات الطائرات التي أتت من كل حدب

وصوب، للنيل منهم، بينما مقرّات الإرهابين، وأماكنهم، ومعسكراتهم، ومخازن أسلحتهم، تنعم بالاستقرار والهناء.

ليس هناك بشر في الدنيا كلّها، يتمنون القضاء على داعش وإرهابها، مثلما يتمنى أهل محافظة الرقة، فهم أكثر من ذاق منهم العذاب، والذل، والهوان؛ فداعش قتلت أبناءهم، واعتقلت رجالهم، وصادرت بيوتهم وممتلكاتهم، حتى أطفالهم لم يسلموا منهم، إذ منعوا عنهم المدارس، وحرمتهم من التعليم، وقطعت عنهم كل سبل العيش.

ولكن متى كانت محاربة الإرهاب بقتل المعانين منه، إذ تقوم محاربة الإرهاب بتدمير بيوتهم وبناهم التحتية فوق رؤوسهم، ويُترك الإرهابيون يعيثون فساداً، ويعيشون برفاهية وهناء.

تباً لعالم ظالم.. لم يعد يفرّق بين الضحية وجلّادها، وطوبى لشعب بسيط طيب، ذاق كل أنواع الموت والمذلّة، لأنه أراد فقط، أن يعيش كبقية البشر بقليل من الكرامة. فهذا ينعي أباه، وتلك تنعي أمها، وأخ يحزن على أخيه.. إلّا نحن كُتب علينا أن ننعي محافظة بأكملها! وكُتب علينا أن ننتظر استيقاظ العالم من سباته الأبدي.. فهل يستيقظ؟!

طريق الاستبداد

عبد القادر ليلا

يتماشى فعل الإنسان نظرياً مع نوازعه وأدائه خلال عمره، يبدأه نقياً طاهراً ضعيفاً ليناً، ويتوسطه مختالاً بالقوة، مزهواً بعضلاته، مستقوياً بشبابه، ومستعيناً بعقله وأدائه، وينهيه بذاكرة ضعيفة، وقوام متهالك، وألم يتعاظم حتى يصبح الواحد مجرد رقم أو إعلان أو غير ذلك..

امتدت سنوات الإنسان على وجه الأرض سنين عدة أغنى الدنيا وأثرى في عمرانها، والبعض اختار أن يترك أثرا فنياً يرفد الحضارة والإنسانية، واستطاع أن يقدم خلاصة تجاربه في تطوير منظومة القيم، وربما تصل درجة الإبداع إلى حدود الاختراع والابتكار.

الإنسان بما يحمل عاش طوال حياته حالات الاستبداد بأنواعه، واختار طرقاً عديدة في تجاوز محنه، متخيراً الأدوات المناسبة لمواجهة هذا الاستبداد، فيما اختار البعض لاستبداده أفانين كثيرة لممارسة هذا الدور وجعله حرفة، فكان العبد بداية ضعيفاً وأسيراً ومهزوماً في حربه. اعتاد ممارسة الدورين، أما في حالة المستبد الطاغية فقد تداوله الحكام وورثوه وأورثوه لمن هم بعدهم. في حالتنا السورية ورث النظام الحكم، ومعه ورث عن أبيه التصرف بالبشر والأرض وما عليها، وكل ما في جوفها وسمائها، واستباحها كما يشاء، يمنحها لمن يشاء من الأقارب والأصدقاء والموالين لسياسته ونهجه، وترك الباقي فريسة سهلة للقتل والتشرد والتعفيش والاستغلال والنهب من قبل شبيحته وأعوانه وبذلك يكون قد أطبق بشكل كامل على مناحي حياة العامة وحوّلها إلى أهداف لطائراته وصواريخه الذكية حيث حول الجميع الى عبيد منتهكي الحقوق وأكثر من ذلك.. اختار طريقاً وحيداً لاستبداد ليس بجديد، بل هو اختراع اكتسبه بالوراثة في القرن الواحد والعشرين.

الرقة وإعادة التأهيل العمراني

رغم أن الطائرات الآن تحوم فوق سماء الرقة، وقد تكون تصول وتجول وتنتقي بيوتاً ومبانٍ عامة، للقصف بينما تقرأون هذا المقال!

رغم الظلم واستهداف المدنيين بحجة داعش وتنظيمها التكفيري، فإننا لن نفقد الأمل كأبناء لهذه المدينة بأن نضع التصورات، والخطط اللازمة لإعادة إعمار مدينتنا الصابرة تحت قصف الطائرات من السماء، وفي ظل ظلم التكفير الداعشي على الأرض.

تتسم الرقة بوجودها على ضفة نهر الفرات، وعدم وجود عوائق جغرافية كبيرة تمنع امتداد المدينة وتوسعها لاستيعاب المزيد من الناس، ومن اللاجئين السوريين الذين تدمرت مدنهم وقراهم، خصوصاً وأن سكان المدينة والريف لا يتصفون برفض الآخر مهما كانت طائفته أو توجهاته أو منبته المديني أو القروي، فهي مدينة جاذبة للسكان عبر تاريخها.

الخطط العمرانية اللازمة والعاجلة لإعادة الحياة لمدينة الرقة، وتأهيلها لاستعادة لاجئيها واللاجئين من المدن السورية الأخرى تتلخص بما يلي:

1 - الصيانة العاجلة لما تبقى من المباني العامة لإدارة شؤون الناس، ومتابعة الصعوبات التي تواجههم، وابتداع الحلول الفريدة لتخطي المصاعب الكثيرة والمتشعبة التي تنجم عن الأعداد الكبيرة من العائدين إليها، فور تحريرها من داعش ومن ظلمها، خاصة أن طائرات النظام والطائرات الروسية تركز في قصفها على محو الجانب الحضري والمديني بقصفها للمباني العامة.

2 - التعامل بصرامة مع عمليات حفظ النظافة وإعادة تأهيل المباني المتعلقة بالصحة العامة، وترحيل مخلفات التدمير، وتأمين الخدمات من مياه شرب، وإصلاح المجارير وشبكة الصرف الصحي، وشبكة الكهرباء بالحد اللازم لحفظ استمرار الحياة وتطورها مما يمنع الهجرة المعاكسة منها.

3 - المساعدة العاجلة لترميم البيوت المتضررة، وإعادة تأهيلها لإعادة إسكان أصحابها ووضعها في الاستثمار، بتأمين مراكز تقديم خدمات ودراسات هندسية من المتطوعين وفق أسس هندسية صحيحة، وتقديم مواد حديثة وفعالة للصيانة المؤقتة والعاجلة.

4 - التخطيط العاجل لمساحات إسكانية جديدة تؤوي مخيمات مؤقتة. ومساحات أخرى على المدى المتوسط بتوزيع مقاسم صغيرة على العائلات التي تدمرت بيوتها وللتعويض على المتضررين بشكل أولي.

5 - إعادة دراسة الضاحية السكنية المدروسة في الضفة اليمنى للفرات، والتي تم الانتهاء من دراستها على أراضي أملاك الدولة، وهي تتسع لعشرين ألف شقة مع مرافقها اللازمة، وهو مشروع منجز ودرسته جامعة حمص، وتوجد نسخ إلكترونية منه لدى العاملين في المؤسسة العامة للإسكان، وفي جامعة حمص والمكاتب الخاصة التي ساهمت في الدراسة، وهذا يؤهل مدينة الرقة لتصبح مدينة نهرية منتشرة على ضفتي النهر ويفتح أمامه أفقاً عمرانياً واسعاً، ويوفر أراضٍ جديدة للتوزيع على المتضررين، كما أنه يخلص مدينة الرقة من مشكلة المياه الجوفية التي تعاني منها الكثير من المباني وقد تتسبب بانهيارها على المدى البعيد ما لم يتم حل هذا الموضوع حلاً هندسياً كاملاً وفق المؤتمرات والتوصيات التي وضعها الخبراء والمهندسون، وتوجد معطيات هذه الندوات لدى نقابة المهندسين بالرقة التي دعت إلى هذه الندوات ورعت الحلول، وهي منشورة في كتب ورقية لدى الكثير من المهندسين نسخاً منها.

6 - فتح مجال للورشات الصغيرة، وللمعامل الصغيرة التي تفتح مجالات العمل للأسر التي تفتقر للمال ولمصادر الرزق والعمل، وفتح مساحات المنطقة الصناعية الجديدة قرب معمل مسبق الصنع شمال الرقة، وفتح مساحات للمعامل الأكبر في المنطقة الشامية على الضفة اليمنى في عمق البادية بعيداً عن الأراضي الزراعية، وعن التضاريس الجبلية، مما يحد من انتشار السموم والتلوث في المدينة، ويُنصح بمنع إقامه المعامل على الضفة اليسرى، إلا ما هو متعلق بالتصنيع الزراعي الخفيف واللازم للمحاصيل.

7 - إعادة تأهيل المزارع والأقنية والمصارف الزراعية، وفتح مجال للأعمال الزراعية الصغيرة لإعاشة الأسر المتدفقة على المدينة، وتخفيف اعتمادها على المساعدات الغذائية والإعانات الشحيحة من المنظمات الخيرية. وتشجيع التصنيع الزراعي وتصنيع المنتجات الحيوانية، خاصة وأن الرقة مشهورة بثروتها الحيوانية الكبيرة، والتي يجب وضع الخطط العلمية الحديثة لإعادة إنتاجها اعتباراً من التربية البيتية، وصولاً إلى المحطات الكبيرة لتربية الحيوانات.

8 - تشجيع البناء وفق نماذج أبنية جاهزة ومدروسة، وضمن ضوابط تحفظ السلامة، وتجاوز المعوقات البيروقراطية والبلدية للبناء، وتشجيع الأهالي للقيام بأعمال البناء بأنفسهم، ودعم المتضررين بحصص محددة من الإسمنت والحديد كتعويض مؤقت ويولّد فرص عمل للسكان.

9 - العمل على إعادة النظر بطرق الإعمار والتوسع العمراني، وإشراك الناس في القرارات العمرانية، وتشجيع المراكز الحضرية في الأرياف لوقف استنزاف إمكاناتها، ولتطوير نمط الحياة المديني على مراكز متعددة في المحافظة، وعدم حصرها في مدينة الرقة لوحدها.

10 - توفير المباني التعليمية بكل مراحلها من الابتدائية إلى المباني الجامعية بتأهيل مبانٍ مؤقتة تفي بالغرض، وتخفف مصاريف وتكاليف التعليم بكل مراحله، وذلك لإعادة تأهيل الأطفال والشباب الذين شهدوا الضخ التعليمي المتطرف، والذي قد يولد أجيالاً جديدة من الإرهابيين.

إ- ع

الحرملي

الهوية المفقودة..!

يوسف دعيس

سأبدأ بسؤال إشكالي، وربما يكون سؤالاً استفزازياً يخص الأخوة الأتراك: هل استطاع الأتراك توفير الحماية للسوريين في تركيا؟! وسأنطلق للإجابة عن هذا السؤال واضعاً في الحسبان مسألة القياس مع الشعوب المتحضرة، وبمعنى أدق مع المجتمع الغربي، ولست معنياً هنا بمقارنة أوضاع اللاجئين السوريين المتواجدين في تركيا مع أخوتهم في لبنان والأردن، أو في أية دولة عربية أخرى، ما يعنينا هنا، ما هي الحدود التي تقف عندها تركيا، وهي تتعامل مع اللاجئين في إطار القوانين الدولية الناظمة لحقوق اللاجئين؟!.

بدأت تركيا ببناء مخيمات للاجئين السوريين قبل أن يدخلها أي لاجئ، بالتوازي مع دخول اللاجئين إلى الأراضي الأردنية، والبدء ببناء مخيم الزعتري، وتلاها فيما بعد تدفق اللاجئين السوريين باتجاه تركيا بشكل غير مسبوق، إلى أن قاربت أعدادهم نحو 2,7 مليون، القسم الأكبر منهم يسكن في المدن والبلدات التركية، والقسم المتبقي يقطن في المخيمات.

استطاعت تركيا في بداية الأمر توفير الحماية لكل اللاجئين بشكل جيد، ومع توالي الأيام، بدأت الحلقة تضيق على السوريين، خصوصاً بعد فتح باب الهجرة إلى أوربا بشكل غير شرعي، وازدياد تغول النظام السوري في قتل السوريين وتدمير مدنهم وبلداتهم، ثم بدأ التضييق يطال السوريين الوافدين عبر حدودها البرية مع سوريا، إلى أن وصل إلى حدِّ القتل برصاص الجندرما، والمكان يضيق إذا أردنا إجراء إحصائيات دقيقة عن أعداد القتلى، أما على مستوى الإهانة والضرب والتشليح فحدث ولا حرج، وهذه المهام تعاور على تنفيذها ثلة من المهربين، وأمراء الحرب، بالتعاون مع عناصر حرس الحدود التركي (الجندرما).

التضييق طال السوريين في المخيمات، حيث لا يستطيع السوري التحرك أو استقبال أحد إلا ضمن موافقات محددة، أما بالنسبة للسوريين خارج المخيمات، فقد بدأت سلسلة السبحة بالانفلات، فبعد الضغوط الغربية على تركيا، أصدرت الحكومة التركية قراراً يمنع السوريين من الحركة خارج المدن التي يقطنونها إلا بعد الحصول على موافقة من إدارة الأجانب، وهنا يلاقي السوري سوء المعاملة على كافة الصعد، ثم بدأ البوليس التركي بممارسة دور أمني فيه غلظة شديدة، تصل في بعض الأحيان إلى حدود التهديد بالتهجير إلى الأراضي السورية، وتصل في بعض الأحيان درجة الإهانة إلى حدود التحرش، خصوصاً فيما يتعلق بتدقيق الهويات ومقارنتها مع سجلات الولاية.

المقارنة مع المجتمع الغربي تكشف حقيقة واقعة ومؤلمة، فالمجتمع الغربي رغم ما يشهده من أعمال إرهابية تهدد أمنه القومي، لا يتنكر لمبادئ حقوق الإنسان ولا يشمل الضغط على ممارسة الحريات، ومنها حق التظاهر وإبداء الرأي، في الوقت الذي نشهد فيه غياب شبه مطلق لكافة هذه الحقوق في تركيا.

مع حبنا وتقديرنا للشعب التركي، وما قدمته الحكومة التركية للشعب السوري في محنته، لا يمكن لتركيا وتحت شعار الحفاظ على أمنها القومي أن تتنكر لحقوق اللاجئين، في حرية الحركة والتعبير عن الرأي أو التظاهر، أو الحصول على حقوق اللاجئين كما تقتضي القوانين والشرائع الدولية، وأيضاً لا يبرر لبعض الأتراك في ممارسة العنف تجاه السوريين تحت أي مسمى، وما جرى في سروج وكليس وعينتاب خير شواهد، فبعد كل حادثة يكون مصدرها الأراضي السورية، أو إخلال بالقوانين التركية من بعض السفه تقوم الدنيا ولا تقعد، وعندما نعكس الصورة، ويقوم أحد الأتراك بالاعتداء على أحد السوريين لا تجد من يحرك ساكناً، إلا قلّة قليلة، استطاعت أن تثبت تضامنها الأبدي مع قضية اللاجئين، ونأمل انعكاسها مستقبلاً في القوانين التركية التي تحفظ للاجئين السوريين كامل حقوقهم.

حكاية البيت الرقي.. من «السيباط» إلى «القوناق»

شهدت مدينة الرقة أول مظاهر العمران في أوائل منتصف القرن التاسع عشر، وأخذت يوماً بعد يوم بالتطور مع ازدياد عدد السكان، وتعدد مشاربهم، بدءاً من بناء السرايا، الذي ترافق مع «السيباط»، ثم تلاه البيت العربي، و«القوناق»، ثم الأشكال الحديثة التي تتمظهر بأشكال مختلفة.

المهندس عبد الحميد النجم من المعماريين الذين يهتمون بدراسة عمران الرقة، قديماً وحديثاً، يقول عن بدايات العمران في الرقة خلال العصر الحديث: «كانت أول إشارة إلى وجود سكن دائم في خرائب الرقة (الرافقة) وردت على لسان الكونت «دوبر توى» إثر رحلته التي قام بها في عام /1866/، يقول: «إن المؤسسات في المدينة كانت قد أصلحت مجدداً لإقامة الحامية»، فقد تم بناء المخفر التركي عام /1863/، وفي عام /1869/ عندما أصبحت الرقة قضاء، تم إنشاء السرايا القديمة من اللبن والطين، وبجوارها بعض دور السكن أيضاً من اللبن والطين للعاملين في السرايا، وكان عددهم سبعة أشخاص، وتقع مقابل الجامع «الحميدي» من الجهة الجنوبية، وكان السكن مجانياً للموظفين، والهدف من بناء هذه المساكن تشجيع الناس على الاستقرار والسكن في المنطقة، وخلال هذه السنوات لم يكن هناك ما يستحق الدراسة غير تلك الدور البدائية لسكن الموظفين، وبعض الأكواخ غير مكتملة الملامح، أسقفها من نبات السوس والزل».

وحول أشكال السكن لدى أهل الرقة، يقول النجم: «كان أهل الرقة في حالة الرعي يعتمدون على بيت الشعر، وهو مسكن منسوج من شعر الماعز، ويرتفع من المنتصف على عمود من الخشب مناسب لارتفاع الفرد، وكان يقسم إلى قسمين قسم يجلس به الرجال، وقسم خاص للنساء، ويلعب دور الجدران في هذا البيت «الرواك»، و«الزرب»، وتشد أطراف هذا البيت بالحبال، وكلما كان عدد الأعمدة الوسطية التي ترفع هذا البيت كثيرة دل ذلك على الحالة الميسورة لصاحب هذا البيت، كان أهل الرقة يزرعون ضفاف نهر الفرات بعد انحسار مياه الفيضانات، ويقطنون في بيوت تسمى «السيابيط» ومفردها «السيباط»، ويغطى سقفه بنبات السوس، أو الزل للحماية من أشعة الشمس، وهو يدل على وجود قاطنين».

ويضيف النجم قائلاً: «بعد الاستقرار أي في حدود عام /1875 – 1880/ أخذ البيت الرقي في رسم ملامح جديدة، وتبلغ مساحته /1000/م2 أو يزيد، ويتألف من «الحوش»، ويعني «تحويشة»، وفي البداية لم يكن هناك سور، ثم سوّر «الحوش» بجدار سميك، وفي البدايات كان من دون طين، وهو قليل الارتفاع، بسبب الفقر، ووجود نسوة يرتدين ثياباً ساترة طوال اليوم، وتحقق درجة القرابة بين المتجاورين، لذلك نجد أن كل منطقه سكنية سميت باسم

قاطنيها، وفيما بعد أصبح السور عالياً، إذ يصل ارتفاعه إلى ثلاثة أمتار، والأبواب كبيرة وواسعة، لتمكين دخول الماشية وبعض الأدوات البسيطة».

وحول مكونات البيت الرقي، يقول النجم: «كان ضمن «الحوش» غرفتان متلاصقتان تتجهان نحو الجنوب، وإلى الشرق كان يتوضع المطبخ، وفي الجنوب تتوضع زرائب الماشية، وأحياناً توضع زرائب الماشية في الشمال خلف الغرف، وكون الغرفتان تشكلان مستطيلاً ضلعه الطويل من الشرق إلى الغرب لذلك سميت الغرف، بالغرفة الشرقية والغرفة الغربية، وكان الباب من الخشب، ذا تفصيلة بسيطة، ألواحه طولية باتجاه الأسفل، تتماسك بألواح عرضية، أبعادها أقل من الطولية سماكة وعرضاً، وتتباعد عن بعضها، ويفتح الباب ويغلق على رزات بدائية، تثبتان في أعلى الباب وفي أسفله، ويفضي هذا الباب إلى مساحه تقدر بـ/1،5×1،5/م تدعى العتبة، وهي مساحة من الغرفة أقل ارتفاعاً من مستوى الغرفة، وتستعمل للغسيل، حيث لم يكن يوجد حمامات، وتصرف مياه الاستحمام من تحت الباب.

السقف، وهو عبارة عن أعمدة خشبية في الاتجاه القصير تبعد عن بعضها من /30-40/سم، يغطيه نبات السوس الكثيف أو الزل المنسوج، ثم أصبح فيما بعد يغطى بالألواح الخشبية، ثم بطبقة طينية سماكتها من /20-30/سم، ثم طبقة من الرماد، تليها طبقه ترابية، وله ميول باتجاه الجنوب لتصريف مياه الأمطار بواسطة «المزراب».

تبلغ سماكة الجدار من /60ـ70/سم وترتفع نحو /3،5/م، وفيها نوافذ للتهوية والتخزين، وكان في البداية يتكون من اللبن، ثم أصبح من اللبن والفخار على طبقات متناوبة، ثم من الفخار، الذي يأتون به من أسوار الرافقة، فالحجر الحواري الأبيض، بعد أن منع الناس من نقل الفخار، وتملأ الفراغات ما بين الأحجار الكبيرة بالطين والأحجار الصغيرة، ثم تصقل الجدران بالجص من الداخل والخارج، ليشكل طبقه أكثر تماسكاً وأكثر تحملاً للظروف الجوية».

ويتابع «النجم» حديثه حول مكونات البيت الرقي، قائلاً: «كانت الغرفة الغربية تتجه نحو الجنوب بالباب والنوافذ، وارتفاع النافذة يصل إلى /130-150/سم تنتهي بقوس من الأعلى، وتبقى النافذة مستقيمة من الداخل والقوس ينفذ من الجص، يقابل هذه النوافذ على الجدار الشمالي نوافذ صماء تستعمل لتخزين الملابس أو الأدوات القليلة الاستعمال أو الحاجات الثمينة، وهي بمثابة الخزانة الجدارية، ولهذه الغرفة نافذة ثالثة تتجه إلى الغرب، الغاية منها الاستفادة من الهواء الغربي في أيام القيظ.

أما الغرفة الشرقية فهي نفس الغرفة الغربية بالتفاصيل، ولكن لا يوجد لها نافذة غربية أو شرقية، حيث يستهلك الجدار الشرقي كله للنضد، وهو عبارة عن عدد من الفرش والأغطية والوسائد تستعمل عند النوم، والفراش يدعى «دوشك»، ويدعى الغطاء باللحاف، ويتوضع «النضد» على مصطبة، ترتفع عن الأرض من /80ـ100/سم، وتدعى «دجة»، وكانت تبنى بناءً، وتحولت الدجة إلى «موبيليا» خشبية متحركة تدعى «المنضاد» أو السادر، وهو يستعمل حتى يومنا الحاضر.

يكون تجاه المطبخ عادة إلى الشرق من الغرف وضلعه الطويل من الشمال إلى الجنوب، ويفتح الباب إلى الغرب، وتوجد له نوافذ إلى الغرب والشرق، وله نفس سماكة الجدران والإكساء الخارجي والداخلي من الجص، وللباب عتبة لكنها لغسل الأواني والصحون، والسقف يميل باتجاه الشرق، في معظم الأحيان، ويعتبر المطبخ من أهم الغرف، حيث كانت تتواجد فيه العائلة في معظم الأحيان، للطبخ، وللطعام، والسهر شتاءً على الجمر، وعند النوم يذهبون إلى الغرف الأنفة الذكر.

أما مدخل غرفة الزخرة فهو من فراغ المطبخ، وهي غرفه صغيرة لحفظ المؤونة، وتسمى بغرفة (الزخرة)، وهي تحريف لكلمة (الذخرة)، وهي ما يدخره الإنسان، يوضع فيها القمح والطحين والسمن والدبس والكشك وغيرها، وفيها خزانة تسمى «النملية» أو «الشعرية» يحفظ بها بقايا الطعام حتى موعد الوجبة الثانية، كذلك هناك سلة تعلق في أحد أعمدة سقف المطبخ وهي من القصب لحفظ الطعام المتبقي.

المرحاض: لم يكن هناك مرحاض في البيوت الرقية في البداية ولم يكن يعرفها أحد، فقد كانت النسوة يتغوطن في زرائب الحيوانات والرجال لهم البرية الواسعة وهناك روايتان، لأول مرحاض في «الرقة»، الأولى، أن أول مرحاض قد بناه القادمون من براجيك (البرجكليين) حيث نقلوا معهم الكثير من مظاهر الحضارة للرقة ومن ضمنها استخدام المرحاض، والثانية، أنه في عام /1900/ وهو بداية قدوم الشركس إلى «الرقة» أنهم بنوا مرحاضاً وتقاطر أهل الرقة لمشاهدة هذا الأمر الغريب، وتعلم أهل «الرقة» منهم بناء المراحيض، وكان له حفرة فنية، وهي عبارة عن بئر تحت مكان التغوط مباشرة، فيما بعد أصبح البئر يبتعد عن المرحاض، ويلحق بالمنزل عادة بئر ماء، ومياه هذا البئر، ليست للشرب لأنها مالحة وتستعمل فقط للغسيل وسقاية الماشية، وكان أهل «الرقة» يشربون من نهر الفرات الذي يجلب إلى البيوت بعدة طرق هي الأواني التي تحمل على رؤوس النساء، والخطرات التي تحمل على الحمير، أو عن طريق السقا، وفي أحد الزوايا الشرقية للحوش يتوضع التنور، الذي يستخدمه الجيران أيضاً، وتتوضع أمام الغرف «السكية»، وهي تقابل «الفرندا» حالياً.

وعند زواج أحد الأبناء يمكن أن تبنى أيضاً غرفتان مقابل الغرفتين السابقتين، وتتجه نحو الشمال، ولها نفس «السكية» والنوافذ والأبواب، ويمكن تكرار هاتين الغرفتين ثلاث أو أربع مرات، حتى يضيق «الحوش» بساكنيه، ولكن يبقى المطبخ مشتركاً للجميع.

البقجة: وهي كلمة تركية، وتعني الحديقة المنزلية، كانت جميع بيوت الرقة تتوسطها شجرة كبيرة وارفة الظلال كالتوت والرمان والكينا، ويحيط بها حوض بشكل صندوق مفتوح، جوانبه السكيتان الشمالية والجنوبية والحائط الغربي، ويزرع في هذا الحوض أزهار الخطمية والجوري والعسلة والحشيش الإفرنجي، وغيرها وكان البيت بذلك جنة غناء قياساً إلى تلك الأيام».

ويتحدث «النجم عن دخول نماذج لبيوت جديدة، بقول: «أدخل نموذج جديد إلى مدينة الرقة قادماً من مدينة دير الزور، وهو الغرفتان وصالون، حيث يكون مباشرة إلى الشارع الذي يطل عليه الحوش والدخول يتم إلى الصالون الذي يلعب دور الموزع بين الغرف والحوش، مع الاحتفاظ بالمدخل الرئيسي للحوش فهذا المدخل خاص للأخ المتزوج، هنا يفقد الاتجاه دوره كأساس في توضع البناء فقد أصبح هناك شوارع، ويجب أن يراعى فيها الدخول، في البداية كانت الغرفتان وصالون لها جدران سميكة كما كانت سابقتها، ولكن مع دخول الاسمنت أصبحت الجدران أقل سماكة ومدخل الصالون الخارجي أكثر تزييناً.

تتكرر الغرفتان وصالون أكثر من مرة في الحوش الواحد، حيث تتكون ممرات ضيقه وطويلة أو قصيرة تصل إلى المنازل التي أصبحت داخلية وليس لها أي إطلالة على الشارع، وتسمى هذه الممرات بـ«الزابوقة»، وفي بعض الأحيان تتكون «الزوابيق» للفصل بين منازل الإخوة لتصبح فيما بعد، أزقة ضيقة تابعة لأملاك الدولة، أما المنزل الثاني، فهو «القوناق»، وهذا المنزل كان موجوداً منذ البداية، ولكنه لميسوري الحال، و«القوناق» هو منزل من طابقين، وقدم إلى المنطقة مع القادمين من تركيا، وهذا المنزل أيضا له حوش كبير، بحيث يكون في الطابق الأرضي عدد من الغرف تطل على ممر مسقوف، ينزل إليه من الحوش بـ/30-45/سم، وهذا الممر يطل على أرض الحوش بأقواس جميلة، ويكون ارتفاع الممر والغرف في الطابق الأرضي من /250-275/ سم مستفيداً من فرق المنسوب بين أرض الحوش ومستوى الغرف، ونوافذ الغرف تطل على الشارع المجاور، ويكون ارتفاع الجلسة في هذه النوافذ صغيراً من الخارج وكبيراً من الداخل، وتقابلها نوافذ تطل على الممر المسقوف، وهنا لابد من الإشارة إلى أنه كان يوجد حمام للاغتسال وهو موجود ضمن المطبخ، أما الطابق الأول فيتم الصعود إليه بدرج بارتفاع من /200-250/ سم، وينتهي فوق الممر المسقوف لتبدأ «البرنده»، وتعتبر بمثابة «السكية»، ويشرف عليها عدد من الغرف كما في الطابق الأرضي، والطابقين الأرضي والأول مسقوفان بنفس الطريقة السابقة من أعمدة خشبية بالاتجاه القصير وشرائح خشبية ثم طبقه من الطين، وسقف الطابق الأول ميوله إلى الخارج».

ويختتم النجم حديثه، قائلاً: «بقيت مدينة الرقة على هذه الهيئة من الأبنية، التي كان معظمها من اللبن وقليل من الفخار والطين، حتى قدوم المهاجرين من «القفقاز»، وتقول «سونيا الفرا» برسالتها لنيل شهادة الماجستير إن المهاجرين من «القفقاز» جاؤوا إلى الرقة على دفعتين، الأولى عام /1906/، والثانية عام /1917/، وان الدفعة الثانية كان عددها أكبر من الدفعة الأولى، حيث كان عددهم نحو /200/ عائلة، ويقول الباحث «حمصي فرحان الحمادة»: «إن الشركس لهم هجرة واحدة فقط وهي الأولى»، ووزعت عليهم الحكومة آنذاك أراض غرب السور العباسي ليسكنوا فيها، وأراضي زراعية للعمل.

نلاحظ هنا نشوء أول مخطط عمراني نظامي في المدينة، شوارع مستقيمة ومقاسم متساوية الأبعاد، حيث تم بناء معظم هذه المساكن من بقايا السور العباسي وكان ينقل القرميد بعربات تجرها الحيوانات وقد عرفت لأول مرة مع قدوم «الشركس»، ثم بدأت بلدية «الرقة» بإنشاء مبانٍ إسمنتية وتوزعها على العاملين في قطاع الدولة، وتقع إلى الشمال من مدينة الرقة، حالياً شرق مشفى التوليد، ومن ثم بدأت الأبنية بالارتفاع الشاقولي طابقين، فقد زاد عدد السكان بسبب الهجرات، خصوصاً بعد بناء سد الفرات عام /1970/، فقد أصبحت هناك ضابطة بناء، وتقلصت مساحة الحوش، وكثرت الأزقة الضيقة فكان لابد من الانتشار الأفقي، خارج حدود السور العباسي ومنطقة الشراكسة، فولدت أحياء جديدة، وكذلك تم تنظيم منطقة»الثكنة، في البداية بضابطة بناء من طابقين، ومن ثم قلبت ضابطة البناء إلى سبعة طوابق فشكلت فوضى معمارية لا يمكن السيطرة عليها».

ي - د

الربيع فصل دم باهظ الأثمان

د. سماح هدايا

تشتد المخاوف من نجاح مشروع التّجزئة والتقسيم في سوريا والمنطقة واشتداد النزاع. والعين تشكك في جدوى التفاوض والحلول السياسية.

إن نجاح أي مشروع يعتمد على مقدمات وأسباب وظروف وقوة دعم. صحيح أن سوريا تعيش في أشد الأيام حلكة ومساعي التقسيم والتجزئة والاحتلال حقيقية.. لكنّ الحرب في سوريا أوسع من تقسيم وتجزئة، وقد تجر حروباً واسعة وتورّط أطرافاً كثيرة. والتقسيم مثلما له مؤيدون وأنصار له أعداء كثيرون.

والحقيقة أنّ ما يفتح الطريق أمام التقسيم والاحتلال واحتدام النزاع، بالإضافة إلى نظام الأسد وداعميه؛ هو عقلية سائدة في المشهد السوري المعارض لدى أطياف وفئات المثقفين والسياسيين والعاملين في مختلف المجالات المدنيةّ السوريّة في ظل الثورة والحرب، وهي عقليّة الدكاكين المتنافسة؛ فكيف يمكن الحفاظ على وحدة سياسية في دولة واحدة، وجغرافيا واحدة، إن كان الانقسام في العقول حاضر، والصراع على النفوذ والمكاسب هو الفعل السائد بين أطياف المعارضة السوريّة، مصحوباً بمظاهر فساد من انتهازية واستغلال وولاء للقوى الكبرى، مع فقدان استراتيجية عمل مستدامة منهجية متفق عليها، وغياب القيادة الجامعة الموثوق بها.

السماء لا تمطر ذهبا... ومن دون جهد حقيقي لا حصاد لنتائج إيجابية. نجني في النهاية أثمان التقاعس والتخاذل والفساد والتفرقة. والشعب حتى يتمكن من اتخاذ قراره الحر الفاعل المنظّم، وصناعة مصير سوريا، مضطر أن يبذل كثير التضحيات. وللأسف هناك وجبات سريعة كثيرة تقدمها مطابخ السياسة العالمية للسوريين، ويتلقاها السوريون ويتصارعون في مكاسبها وأوهامها، ويصبح مستقبل سوريا في مهب الرياح. لكنّ المفترض والمتوقع أنّ مستقبل سوريا وشكلها لا يقرره الروس أو الأمريكان أو إسرائيل أو أي دولة أخرى، رغم كثرة التمويل السياسي مدنياً وإغاثياً وعسكرياً وثقافياً، ورغم الاحتلال والعدوان... لكن يقرره شعب سوريا.

فرض الحلول السياسية والثقافية والعسكرية من الأطراف الدولية على السوريين، متزامن مع ضعف في العقلية السياسية والثقافية السائدة في المعارضة والثورة، وفي عموم النشاط السياسي السوري المرهون للإرادات، مترافقاً بالصراعات المشحونة بالمصالح الضيقة، وصراع الولاءات وبواقع يتردى. العدوان الروسي، والمؤامرات الدولية، ونظام طاغية، كل له دوره الأساسي الكبير في تعميق المأساة، لكن يتحمل كثير من السوريين العاملين في المسار العسكري والسياسي والمدني والمنظمات والجمعيات والكتائب المقاتلة المسؤولية أيضاً. الموضوع أوسع من مجرد مؤامرة دولية تسهم فيه بيوت السياسة بخارجيتها وأذرع مخابراتها وقواها العسكرية والعلمانية. ولم تعد المعارضة قادرة أن تقف في وجه أي مشروع كاسح.

عقلية الفوضى والغوغائية في توجيه العمل وضعف العمل المؤسساتي ظاهرة عامة في أداء المعارضة والعاملين في الشأن السوري في مختلف المجالات، وقد جاء حصادها الضعف والعجز والانقياد للآخرين، وبالتالي الانحناء أمام الحلول السياسية والعسكرية الدولية. لذلك تغيير العقلية خطوة أساسية للحل وللخروج إلى واقع جديد قوي. فلا يمكن للقوى السياسية الحالية بهذه العقلية وضمن منظومة علاقاتها القائمة على التبعية والشللية تحقيق أي مكسب وطني. الاكتفاء بالتوصيف أو الركون إلى الهزيمة بحجة انسداد الأفق والعجز يزيد في المخاطر؛ فلا بد من التحليل وتقويم التجربة ومراجعتها بجدية ووعي، والأخذ بعين الاعتبار التغيرات الحادثة، ثم العمل بتشاركية ومصداقية ووطنية، والاستناد إلى المنهجية العلمية. هناك لحظات تاريخية تفقدها الأمم بسبب جهل رجالاتها، وفساد منطقهم، وجشع نفسياتهم المشبعة بالأنانية والانتهازية. وسوريا في موقع يحتاج التقاط هذه اللحظات التاريخية ولفظ الأخطاء والخطايا. كل الحلول المفروضة على الشعب السوري لا يكفي رفضها باللسان أو التباكي أو الاستسلام، بل بالموقف الواعي والعقل الجماعي الوطني.

نجاح التفاوض السياسي مع النظام والعالم، يبدأ من حسن التفاوض السوري السوري في كل المجالات، لحل الإشكاليات وتقريب الرؤى.. وليصبح التفاوض قوة مدعومة بثقل كبير داخلي يمكنها الثبات في وجه التحديات والتآمرات الدولية. لا نفع من الولاءات مهما كانت مؤثرة. بديل ذلك فهم توازنات العالم والقوى الإقليمية، والانتماء لمطالب الشعب، ومشروع ثورة الحرية التي قدمت الدماء الغزيرة. الالتصاق بالقوة الذاتية للثورة ومطالب الشعب السوريّ. أما الانسياق الحر من دون مكابح في مساء التوازنات الدولية والإقليمية فهو مضر أكثر من كونه يخدم المعارضة السياسية..

ستكون العملية السياسية، ضمن التحديات الكثيرة القائمة طويلة؛ لأنها مترافقة مع عملية تهذيب للعقل السوري السياسي والعسكري والمدني، وإعادة تأهيل ثقافي ومعرفي للمعارضة لتعميق وعيها، وتنظيم عملها بشكل مؤسساتي فيما يخدم سوريا ومستقبلها ومصير شعبها؛ خصوصا أن الشعب السوري، بأغلب حراكه، وقواه المختلفة ما زال يعاني الأمراض التي أورثها له النظام عبر عقود من التفرقة والتخوين والتسلط والفساد.

العالم الذي جلب حروبه ومعاركه إلى سوريا، يؤجج المنطقة بالصراع، ويسعى لاحتواء كل القوى العاملة في الشأن السوري السياسية والعسكرية، وغير ذلك، واستغلالها فيما يخدم أهدافه. المعارضة والثورة في حالة استحقاق خطير لمواجهة هذا الاحتواء بتطوير وتمكين كيان سياسي رسمي يمثلها، متأسس على الرؤى المشتركة لا المكونات. على الأفكار وبرامج العمل المتوافقة لا على الأشخاص، وما يمثلون هذا النمط من التفكير فوق الآخرين. وفوق الذات الواحدة. التقسيم موجود، ومخاوفنا صحيحة؛ لكنّ تنفيذ التقسيم جغرافياً وسياسياً مشروط باستمرار التشرذم السوري. وفشل التقسيم مرهون بوجود عمل حقيقي سياسي سوري بامتياز يوجّه العملية السياسية بمصالح وطنية. كل الوضع الحالي يمكن أن يكون طارئاً، ويتحوّل نحو واقع جديد مبشر، يمكنه التصدي للحلول عندما تستلم الإرادة السورية الناضجة قراراها وفعلها.

مهما تعددت الأسباب.. النصر قادم

هائل حلمي سرور

على مشارف العزة والقلمون وداريا والغوطة. حصار لا مناص منه، واقع يفرض نفسه، ومعابر شتى لعرب باتوا أضراساً لعدو يتربص فهل من سبيل لفكه؟. وهنا وهناك ما تبقى من نخبة تعال نتحرى أيهما أزكى؟. دم حمامة أم عش دبور للتو أضرمت فيه نار الفتنة تتلظى. حوارات وجدليات ونظريات كانت على جرح الثورة أسيد مكثف زادت الطين بله.

ديماغوجية وأيديولوجية ليبرالية وبلشفية.. أممية وعلمانية ومصطلحات شتى أتت كالنصل فأحدثت في الجرح العميق ما لا يُحمد عقباه فتردى. أيها الجرح كفاك ألماً وانتكاسات ونكبة، أيها الجرح عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن المؤامرة واغتيال الصمت.

إليكم تفاصيل المسألة:

من تحت التلّة حزب الله والنظام والمجوس والروس وقبيلة بني قريظة، ومن فوق التلّة حِنّا ومين حِنّا، شعب بالروح غنى سورية أنتِ أحلى جَنّة، ورايات بيضاء تخفق في القلوب لتنادي سورية هي إلنا. الكل كان هناك ولك حتى نار جهنم والأبواب السبعة للجَنّة.

إبليس من تحت ينادي «أنا بسورية أولى وأنتو يلي فوق اطلعوا لبره»، أنا أتيت من أجل حماية الرموز المقدسة، وأنا المقاومة، وأنا الممانعة، وأنا الذي أبرمت الصلح مع بني قريظة. ما حالكم أنسيتم من أسقط حواء وآدم من الجنّة هيا.. هيا اهبطوا واستسلموا قبل أن تدار الرحى.

عمتم مساءً يا سادة:

هذا ليس بنص مسرحي، أو درامي، أو أدوار وزعت على دمى متحركة تُدار كيف ما شاءت وتُلقن حسب ما هو مرسوم، وتتحكم بها آلية الزمان والمكان والشخصيات التي ستصادفها لصناعة الحدث، بل هي واقعة دونها التاريخ الحديث على أنها الوتد الذي تستند عليه الجبال، وبفقدانه سوف ينهار كل شيء هي الحرب الكونية التي بدأت تتوافد عليها جميع الجيوش من كل حدب وصوب لترسم على أرضها نهاية العالم والخلاص هي من عجائب الدنيا، بل هي الدنيا بعجائبها. منها تبدأ حكاية آخر الزمان حكاية شعب طُعن وما زال يُطعن بحدّ الإبادة. من هنا يا سادة كان الكنز المفقود يبحث عنه كل زعيم عصابة وحتى أوباما.

وبالمقابل هل كانوا يعتقدون أن سوريا الوطن بلا قلادة. ها قد جاءوك مدججين بالسلاح والنباح ويضعون عل خناجرهم علامة. هم يظنون أنك المارد الذي يكنز في قمقمه صيحة الإله ليوم القيامة.

لماذا؟.. لماذا؟.. لماذا؟..

يا سادة كل ما هنالك هو سؤال ولكن دون إجابة لماذا؟.. هم اعتقدوا أنكَ أيها الوطن لقمة سائغة وهدية.. هم ظنوا أنكَ شعب بلا هوية.. هم حسبوا أنكَ بلا قلادة أتوا ليضعوا على قبرك علامة.. هم قدموا ليدفنوك حياً في بطن الحوت، ونسوا أن الله حيٌّ لا يموت.

أيها القادمون من تحسبون أنفسكم آلهة الظلام تصفدون الحق وتشيدون الزنازين وتسقوهم كالعبيد.. أم حسبتم أنكم على بطشكم للشعوب سالمين، وأنكم بلا حساب وبلا رقيب في سفككم دماء الأحرار حالمين؟.

يا سادة سوريا الوطن حكاية أغنية لحنت على أوتار الزمن الجريح، ولكن بلا نهاية، وطفل يجثو فوق أطلال المنايا ينادي ملئ الحناجر وينشد: يا قصبة نودي.. نودي ودِيني عند حدودي وحدودي صوب وجودي وجدودي عم ينادوا يا سوري لا ترحل».. لا ترحل.. أنت النبض الذي ما يتوقف لا بالوقت، و»لا بالقلب يلي عم يكبر أنت سوري لا ترحل.. بلدك إلك وإلك في بلدك عنوان ازرع.. ازرع لا ترحل.. يا ولدي بيّ قلي من زمان أرضك عرضك وسيفك في غمك إلك.. يا ولدي أنت شامة على خدود الثوار وأنت عين الفيجة يلي يشرب منها الأحرار.. أنت الغوطة وأنت المرجة وأنت حر في كل الأركان.. أنت سوري لا ترحل.. اركب وعن خيلك ما تترجل وما تفكر إنك ترحل بلدك إلك وإلك في بلدك عنوان.. ازرع لا ترحل.. يا شآم ضميني أنا بلا أم وبلا حنين أنا ابن الشهيد لن أرحل ولو قطعوني من الوريد إلى الوريد يا وطني عنك لن أحيد».

يا سادة.. وطني بات كالقصعة التي تكالبت عليها الكلاب من كل البقاع وما زال يئنُ من ضرب السياط وصوت وجعه يُسمع من دمشق إلى الرباط لا عربي ولا مستعربين ولا أحد بان لنجدته حتى الإنس والجان.. لماذا؟.. لماذا؟.. سؤال لكن دون إجابة..

من فوق التل، ومن تحت التل، رصاص وموت، وأرض تُحتل، ولا أحد يبحث عن الحل، لماذا؟ لأن هناك من يبتغي للعبة الموت الاستمرارية، وكأن التاريخ يعود بنا ليعلمنا أن نيرون قادم، وهولاكو قادم، وغودو قادم، وهم قادمون يحملون الصليب على ظهورهم، وأجداد الشيعة تسبقهم لتدلهم أين نحن؟ وبعدها سينتهي كل شيء بهدوء.

يا سادة الشعب السوري الحر حدد مفترق طريقه، إما أن يكون أو لا يكون، وأيقن أن لا رجعة إلى الوراء مهما تعددت الأسباب فالموت واحد أينما أدركه، وأن النصر قادم، وأعلم أن من يصنع حريته بيده قادر على تجاوز المستحيل، رغم الجراح، رغم ما يجري في وطنه السليب، ويُستباح وأصر على أن لا ينكسر، وأصر على سلك دروب الفلاح.

نقطة أول السطر

الرقة.. بين «اللص والكلاب»

معبد الحسون

بات اليوم قصف الرقة من قبل قوى عديدة برنامجاً يومياً، وأصبح قتل أهلها بكل أنواع الطيران واجباً مبرمجاً ضمن خطة دولية تعلن على الملأ صباح مساء، أنها تحارب داعش وتخطط للقضاء عليها في معقلها الرئيس: الرقة.. عاصمة خلافة داعش المعلنة، كل ذلك يبدو عادياً في نظر العالم أجمع، ويسوّق له الإعلام تسويقاً مجيداً يحسد عليه وعلى براعته وعلى تقانته في المهنية..

أما غير العادي كما نراه، والمتجاوِز المُفَوَّت في المشهد، فهو أن الذي يُقصف يومياً، ويموت يومياً، هم أهل الرقة المدنيين البسطاء المستضعفين، والمحكوم عليهم بحكم إعدام شبه مبرم، وضمني من قبل الطرفين: التنظيم الإرهابي، والمجتمع الدولي على حدٍ سواء، فالرقة اليوم، وبحق، ينفذ بها وبأهليها حكماً واجب التنفيذ من طرفين: من لص يدعي الأهلية والقيومية عليها، ومن كلاب تدعي حمايتها وتهر هريراً كاذباً متواطئاً مع اللصوص، سخيفَ الأداء مبتذلاً.. فيه فقر على هيبة الحروب وشرفها وأخلاقها، رغم قدرات الطيران وحداثة مواصفاته وعظم التقنيات العسكرية التي يستعملها.. وغير العادي كذلك نستشعر به حين يزعم التنظيم بأنه يتصدى ويقاتل كل هؤلاء «الأعداء الألداء»، ونحن نعلم يقيناً أنهم «أصدقاءٌ ألداء»، يمررون بالتعاون والتواطؤ معه وقتاً يجب أن يُمرر (لأسباب لا مجال لذكرها في هذه العاجلة)، وتُهراق دماء مدنيين يجب أن تُهراق، وتُدَمَّر بيوتاً وبنى مدنية يجب أن تُدَّمر.. وحين يزعم أولئك «الأعداء الألداء» للتنظيم (كما يُفترض بهم أن يلعبوا هذا الدور على خشبة المسرح الدولي)، والذي بات يكرر مسرحية على مشهدٍ غير بهيج، ومنظرٍ بليد متخم بالتصنع والغباء وقلة الفطنة، حين يزعمون بأنهم يحاربون الإرهاب، مع علمنا المسبق وعلمهم المسبق، أن تلك الغرف السرية في مبنى المحافظة، ومبنى الملعب البلدي في الرقة، محشوة بجنرالات أسديين وجنرالات إيرانيين وجنرالات روس، وقادة حرب مصريين وحتى أمريكان وأوربيين وخليجيين.. فلماذا لا يأخذون «حصتهم من دمنا.. لينصرفوا»، ويريحوا ويستريحوا..؟ ولماذا يقتلون أطفال الرقة ونساءها وشيوخها، ويدمرون كل ماضيها وحاضرها ومستقبلها تحت عنوان الحرب على الإرهاب..؟

وغير العادي كذلك، في مشهد اللص والكلاب هذا، هو أننا نحن أهلَ الرقة وثوارَها، قاتلنا التنظيم وعرفناه وخبرناه، وكنا نعلم علم اليقين أننا (وفي وقت من الأوقات مضى قبل اليوم)، قادرون على استئصاله وتشليعه من جذوره والخلاص منه نهائياً، كان كل ذلك أمراً سهلاً ميسوراً بسيطاً.. لا كلفة فيه ووقت، ولا زمناً طويلاً يراد له ولتحقيقه.. فقط لو توافر لنا من السلاح والذخائر بمقدار ثمن «طائرة واحدة»، من آلاف الطائرات التي تهدر وقتها وتقصفه ويقصفها يومياً.. ولكن يبدو أن المخرج وكاتب النص، غير الموهوبين بكل تأكيد، هما من أرادا للمسرحية، مسرحية «اللص والكلاب» أن تمشي على هذه السيرورة الهادرة الفاضحة والسخيفة.. لترضي جمهوراً لم يكن من شأنه ومن دوره سوى التفرج والإقرار بما يجري ويحدث في سماء الرقة وأرضها..

ليست دماء أهل الرقة ماءً، وإن افترضتموها كذلك.. وليست داعش عيناً تقاوم المخرز، وإن أراد النص غير المقنع أن يوحي تلك الإيحاءات، بل الأمر كله لا يتعدى حدود الزيف والخداع.. زيف العين وزيف المخرز، وتواطؤ اللص مع الكلاب، وتواطؤ الكلاب مع اللص.. وحتى تحق هذه الحقيقة سيظل أهل الرقة البسطاء المسالمون، والعزل من كل حيلة ووسيلة، يدفعون من دمائهم ودماء أطفالهم وأشلاء لحمهم الذي يتناثر يومياً، وهجرتهم الجماعية نحو المجهول، صباح مساء، تحت قصف طائرات من عشرات الجنسيات، يدفعون فاتورة اللعنة والمؤامرات عليهم وعلى شعب سوريا أجمعه.. حتى يقول ضمير العالم أخيراً كلمته التي لا نتوقع منه أن يقولها.. على الأقل لأمانة التاريخ وصدق روايته وتوثيقه.

الحرمل www.alharmal.com
السنة الثانية / العدد 38 / 15 نيسان 2016

وعي الضحيّة (4)

المغيرة الهويدي

المفكرّ الرقاّصة هو مصطلح للدكتور أيمن بكر كان قد أطلقه على مثقفي السلطة، ممن ارتضوا بأن تكون الثقافة منجزاً من منجزاتها، أولئك المتلونون وفقاً للظرف السياسي وما يناسب أهواء الحكام. «المفكّر الرقاصة» الذي أفقدنا الثقة بالمثقف وبدوره الوظيفي الذي كنّا ننتظره منه، فأصبحنا أمام استعراضات وحركات بهلوانيّة ممثلة بمعارض ومهرجانات وأمسيات وظّفت الثقافة في خدمة المتنفذين بدءاً من أصغر عنصر أمن وانتهاءً بولي نعمة الثقافة والمثقفين.

أصبحت الثقافة واجهة سياحيّة دون أن تتجاوز السطح إلى القاع، حيث يقبع الإنسان مع أعبائه وأسئلته وقلقه الوجودي. بدأ المواطن يفقد ثقته بالمثقف، وهو يراه يلهث وراء رجالات السلطة، ويبذل الغالي والنفيس ليتبوأ منصباً في دائرة الثقافة. فقد المواطن ثقته بالمثقف عندما وجده يقف عند أبواب المتنفذين محمّلا بالهدايا والرشى. وعندما وجد المواطن نفسه يغرق في همومه المعيشية ويدفع من دم قلبه أتوات لأصحاب الشأن الذين يصفق لهم هذا المثقف، وعندما أقصيت الأصوات الحرّة والحقيقية وغابت عن المشهد بملء إرادتها أو بالسلبطة والتجبر. ولم يكن غيابها حسناً كما كنّا نظنّ، وذلك عندما خرج الكثير من هؤلاء المثقفين من الغيابات، بعضهم مدفوع بالانتقام والتشفي، وبعضهم الآخر غير قادرٍ على تجاوز الماضي الذي توقف عنده، وصاروا عبئاً على الحراك، قبل أن ينفصل بعضهم ليعلن انحيازه لسلطة القمع، ويتّجه بعضهم إلى الحراك الثوري ينظّر ويدعو إلى الثورة من المنطلق ذاته الذي تنطلق منه السلطة، باللغة الخشبية ذاتها، وبالأدوات التحريضيّة ذاتها، وبالتشويه لكل القيم التي نادى بها الحراك منذ انطلاقه.

لماذا غابت الأصوات الحقيقية؟

الأصوات التي تساءل الحريّة في كلّ لحظة، وترفض الخطأ أيّا كان مصدره، وأيّا كانت نتيجة هذا الرفض. ثم نجد من أنساق وراء صيحات الثأر وراح يجيّش الناس ويدعو إلى الحرب والقتال حتى آخر سوري وهو جالس في مكتبه آمناً مطمئناً على سلامته؟ وكأنّ الحرب وقتٌ مناسب لتغيب الأصوات التي نادت بالعدالة والحرية والكرامة. يقول هيرمان هيسه: (إنّ الآخرين -ويعني بعض الكتاب- يساهمون في الأحداث الجليلة بحمل الحرب إلى غرف مكاتبهم وتأليف أغانٍ تحثّ على شن حربٍ وحشية أو مقالاتٍ مفرطة التطرف تشعل الأحقاد). لم تكن الحرب مطلباً، ولكنّها وفي خطاب الكثير من المثقفين بدت لي أشبه ما تكون بالغاية؛ الحرب من أجل الحرب، الحرب من أجل أن أنفث سمومي بغض النظر عن غايتي الأساسية التي تتمثل بالمطالبة بالحقوق، وأوّلها كيف نحافظ على شرعية مطالبنا، وقبل كلّ شيء كيف نحقق الحرية والسلام.

هل هذا قدرنا أن يغيب المثقف القادر على مواكبة الحراك وتقويم أيّ اعوجاجٍ ممكن ليظهر وبشكلٍ فاجر المثقف الذي لا يقول شيئاً؛ إنّه يشتم فحسب؛ أقول: الشتم من أجل الشتم!

الشتم من أجل «اللايك»، كلّما أساء أكثر نال إعجاباً أكثر، كلّما دعا بنبرة طائفية ومناطقية بغيضة حقق مراده. وسيجد من يصفق له في الحرب، لكنّه أبداً لن يجد من يلتفت إليه إذا ما انتهت الحرب، وتحققت الحريّة.

من زاوية أخرى، يقول صادق العظم: (ليست مهمة المثقف استيعاب الشارع الثائر. وفكرة أنّ المثقفين قادة رأي وقادة فكر ووعي، تفندها الثورات العربية عموماً والثورة السورية خصوصاً. إنها ثورات عفوية). إذاً، ليس على المثقف أن يكون قائداً، ولكن هل من الصعب على المثقف أن يكونَ واعياً بما يكفي لفكرة أن هذا الشعب ضحية، أعني الشعب كاملاً بما فيهم من نطلق عليهم «الموالاة»؟ هل من الصعب على المثقف أن يرفض التجاوزات التي حدثت؟ هل من الصعب عليه أن يفنّد تلك الأخطاء ويدعو إلى تجاوزها؟ ثم ماذا يفعل الإنسان العادي وهو يرى أن المثقف قد تنازل عن دوره الريادي أو لنقل التوعوي؟

للأسف فإنّ الكثير ممن نتفق على أنّهم من النخبة المثقفة انخرط في هذا الكرنفال الهستيري، يرقص ويطبل ويدبك فوق مآسي الإنسان السوري، نجد من يهذر بكلامٍ سخيف عن الحرية، وبعضهم من يؤيّد «التكفيرين» رغبة بالتشفي والانتقام، ونجد من يدعو إلى التقسيم، ويدعو إلى الإبادة وإلغاء الآخر، وكأنّ قدر السوري أن يدفع ثمن كلّ هذا بدءًا من سلطة غاشمةٍ لاتتورع عن القتل والإبادة، مرورًا بحروب تدار بالوكالة فوق أرضنا، ونزوحٍ ولجوءٍ وتشريد وحصار واعتقال وقتل، وكأنّ على السوري ألا يكون له حق في تقرير مصيره، وأن يفقد ثقته بالمثقف مثلما فقد ثقته به من قبل. فنجد مثقّفا يقيم في أوروبا ويدعو إلى نصرة التكفيرين ويدعو إلى الخلافة على منهج النبوة فيما يجلس هو آمنًا مطمئنًا في إسبانيا، وآخر يجلس في لندن يوزّع صكوك الشرف والتضحية لمن أعلن ولاءه المطلق للقاعدة ضاربًا عرض الحائط بأيّ مشروع وطني يعيد صياغة الهويّة الوطنية ويؤسس لعقد اجتماعي جديد، ويأتي آخر يدعو إلى الانحياز إلى هويّات ضيّقة ميتة عفا عليها الزمن ولايمكن لها أن تنهض بالإنسان والبلاد. الحديث يطول عن هؤلاء الذين أساؤوا»، وارتضوا أن يكونوا أبواقًا ينفخ بها كلّ حاقد وطائفي، هم الذين ابتعدوا كثيرًا لدرجة أنّ أحدهم لم يتساءل: لماذا لم أقل خيرًا أو أصمت؟

كلّنا يعرف أنّ الشعب السوري دفع الثمن باهضًا ولن يتخلى عن مطالبه، ويكفي أن نجيل نظرنا بما حدث خلال هذه السنوات الخمس لنعرف أنّ تغييرًا جذريًا يحدث ولايمكن لأية قوة أن توقفه.

لست ممن يتجنّى ويلقى التهم جزافًا؛ لذلك أقول: إنّ هنالك استثناءات تستحق الإشادة، وأسماء دفعت الثمن نتيجة مواقفها واستهدفت من جميع الأطراف، ومشاريع تظهر إلى العلن الآن تدعو إلى إصلاح مايمكن إصلاحه، ترفع الصوت عاليًا أمام الخطأ، وتقدم مبادرات جادّة ترفض الإقصاء والإلغاء بلغة بعيدة عن الشتم والقذف والتجييش.

نعم، الآن هو صوت هذا المثقف الذي يطلبه الشعب، وغدًا ستنتهي الحرب التي هيّات البيئة المناسبة لظهور هذا العفن، وسيكون الصوت للسلام لا للحرب، للكرامة لا للذل، لمن يمد يده لا لمن يحمل سكينًا، لمن يشير إلى الخطأ لا لمن يتعامى عنه، لما يمكن أن يجمعنا لا لما يفرقنا، لمن يرى السوري سوريًا بغض النظر عن طائفته وعرقه وقبيلته لا لمن يراه بهويته الميتة، لمن يرفض أن يظلّ ضحية كما يرفض أن يصبح قاتلاً، للعدالة لا للظلم، وسيكون الصوت للحياة لا للموت...

وما لايمكن أن تحققه الحروب وأبواقها وسدنتها وعبيدها، ستحققه الحرية!

تحت المجهر

* محمد الرفاعي

1. كل انواع الغسيل للتنظيف..
إلا غسيل الأدمغة!!
لتلطيخها..
2. جبناء فعلياً محنكون لغوياً
دساتيرنا الحياتية صِيغَتْ بدهاء لغوي رهيب يجسّد حنكة الكتاب من حيث اللغة العربية فمعظم فقراتها «مطروقة» من حيث الفكرة فهي مقتبسة من قواعد اللغة وعلى سبيل المثال «الفاعل» مقدّسٌ في اللغة فهو الوحيد الذي لا يُجر ولا يتم النصب عليه واجبُ الرفع بل نقتّصُ من المفعول بهِ فهو واجب النصب حاله حال عامة الشعوب العربية المنصوب عليها دوما تحرك ساكنا بل وتُكْسَر ايضا فهي في نظر «الفاعل» جمع مؤنث سالم واجب الكسر والتحطيم .
في الحياة لا يوجد مفعول مطلق إمّا فاعل وإمّا مفعول به.
3. تمر الأيام والأجيال،
ولسان حال حكامنا يقول: «لسنا الوحيدين ولكننا الأسوأ»
4. «يمضون ونبقى»
العبارة الصادقة الوحيدة،
التي يلهث حكام العرب من أجل تحقيقها،
والدفاع عنها بشراسة!!
5. اللُحمة الوطنية..
زمروا لها..
وبعد أن سال لعابنا،
وجدنا انها منتهية الصلاحية!!
6. «طرفة غبية»
جمعوا الأموال للنازحين..
وصرفوها على النازعين!!
7. الكل يرغب بالإصلاح،
فمن هو المفسد؟!
8. لا يُكثر الحديث عن شيء،
إلّا فاقده..
كذلك هم حكامنا.. أغلب خطاباتهم حول الشرف والأمانة والأخوة!.
9. كثيرة هي خطوطنا الحمراء، ولكننا لم نجرؤ على ترسيمها فعلياً إلا في نتائج المدارس!

* كاتب عراقي

العودة إلى جنيف

طارق عبد الغفور

يُقال إنّ أشدّ ساعات الليل حلكةً هي تلك التي تسبق الفجر، وربما ليست هذه الساعات التي تمرُّ بها الأزمة السورية هي الأشدّ حلكةً، ولكني أظنُّ أنها الساعات التي تشتدّ فيها الحيرة مما يجري على ساحتها، فالملك سلمان في ضيافة أردوغان قبل حضور مؤتمر قمة منظمة التعاون الإسلامي، ووليّ وليّ عهده في الأردن والإمارات وتركيز في مباحثاته مع العاهل الأردني على التدخل الإيراني في الشؤون العربية، وديمستورا في موسكو ودمشق وطهران، مؤكداً على أهمية الجولة المقبلة في مباحثات جنيف التي ستركّز على عملية الانتقال السياسي، والنظام يكرّر معزوفة الحضور «بدون شروط مسبقة»، وطهران ترسل مغاويرها للقتال في سورية، وداعش والنظام يتبادلان الاستلام والتسليم في تدمر والقريتين، وربما أماكن أخرى مرشحة لتكون مسرحاً لهكذا عملية، والموقف العسكري لداعش في العراق وفي سورية، وهو عامل آخر شديد الأهمية في رسم خارطة الأحداث المقبلة، ولعل التراخي الواضح في معالجة القضية الداعشية في العراق خصوصاً، وفي سورية إنما يأتي لترتيب كيفية استخدام ورقة داعش في تثبيت المصالح الإيرانية في كلا البلدين.

ووفد المعارضة إلى جنيف يكرّر موقفها مؤكداً على أنه سيطرح «بقوة» مسألة رحيل الأسد، ورموز نظامه عن المشهد السياسي السوري في المرحلة الانتقالية، ولافروف يهاجم الإدارة الامريكية بعنف، ويصف التسريبات عن الاتفاق مع روسيا على إزاحة الأسد بعد زيارة مدير الـ C I A إلى موسكو مطلع آذار المنصرم بأنها «تسريبات قذرة»، والسيد كيري لا يرى إمكانية لوجود الأسد في المرحلة المقبلة. فهل يُمكن أن يُستنتج شيء من هذا الذي يجري؟ هل يُمكن أن نرى أيةَ نقطةٍ واضحةٍ تؤشّر إلى ما ستؤول إليه الأمور؟ وهل نستطيع من محاولة تجميع الأوراق المبعثرة أن نشكّلَ مشهداً متماسكاً أو حتى شبه متماسك؟

على الرغم من أني فاقد الثقة في الإدارة الأمريكية، لكني أعتقد بإمكانية الربط بين تصريح لأوباما في مقابلة مع الصحفي الأمريكي الشهير توماس فريدمان أواخر العام المنصرم يقول فيه: «على حلفائنا العرب السنّة أن يزيدوا من رغبتهم في استخدام قواتهم الأرضية في حلّ مشاكل المنطقة «وتساؤله عن» عدم قيام العرب بالقتال ضدّ الانتهاكات الفظيعة لحقوق الإنسان التي تُرتكب، أو ضدّ ما يفعله الأسد» - وهي تصريحات أشرنا إليها في مقال سابق - وبين التأكيدات المتزامنة والمتكررة لوزير الخارجية السعودي عن حتمية رحيل الأسد إن بحل سياسي أو بحل عسكري، وبين تصريح كيري المُشار إليه آنفاً، وبين ما نشرته صحيفة الـ»وول ستريت جورنال» الأمريكية عن الخطّة باء التي تبحثها الإدارة، والتي من بنودها تزويد بعض فصائل المعارضة بأسلحة نوعية تمكنها من التصدي لطيران النظام، ومن شنّ هجمات مؤثرة ضدّه تغيّر من ميزان القوى في الميدان، وتؤثر بالتالي على ما يتخذه من قرارات تُسرّع في رحيله. وذلك كلّه متعلق بما ستسفر عنه الجولة الثالثة من مفاوضات جنيف، التي تبدأ هذه الأيام وسط تخوفٍ، وتحذيرٍ من إمكان فشلها نتيجة تصعيد النظام المتعمّد لخرق الهدنة الهشّة أساساً، وعودة البراميل المتفجرة إلى الاستعمال بالوتيرة السابقة عليها.

الذي أظنّه وأرجو أن أكون مخطئاً، إذ لا أحدَ يرغب في مزيدٍ من سفك دماء السوريين إلاّ أعداؤهم، أن هذه الجولة لن تكون أفضلَ من سابقتيها، وأن الفشل يترصّدها بسبب مواقف النظام، وحليفيه الداعمين له الروس والإيرانيين، ويعزّز هذا الظن ما يصدر من تصريحات من أعضاء وفد المعارضة المفاوض تعكس القتامة التي تسود الأجواء.

الشعب السوري كلّه يتمنى أن تنتهي الكارثة السورية بحلٍ سياسي يوفر الدم والدموع، لكن الفشل في الوصول إليه سوف يعيدها إلى المربع الأول، وسوف يضعُ أشقاءنا وأصدقاءنا الحقيقيين، الذين أقدّمهم على المجتمع الدولي وعلى الإدارة الأمريكية أمام منعطف جديد لن تجديَ فيه تصريحات الدعم الإعلامية نفعاً في إنهاء الكارثة، بل لا بدّ من اتخاذ خياراتٍ، لو اتخذت منذ بداية الثورة لوفّرت على الشعب السوري دماً كثيراً ومعاناة نزوح وهجرة، هي الأكثر قسوةً منذ الحرب العالمية الثانية.

المظلومية والمجتمع الرعوي

قراءة في رواية «قبلة يهوذا» للكاتب الفرنسي أوبير برولونجو

أرام كرابيت

«يجب أن تعتني بسيفك اعتناءك بحياتك. أنت، يمكن الاستعاضة عنك، أما هو، فلا».

هذا ما قاله حزقيال أحد أبطال رواية قبلة يهوذا للكاتب الفرنسي أوبير برولونجو أثناء تدريب الأطفال الصغار على حمل السلاح كالخنجر والسيف.

فالسلاح هو رمز هذه الحضارة كمرجع للتماسك والترابط التاريخي بين المجتمع وذاته وعلاقة القوة بالقوة، بالإنسان. وخير من يعشق السلاح هو الفكر الشمولي العصبوي الذي يتوحد ويتماسك ضمن هذه القوقعة ليتوحد أحدهما في الآخر، السلاح مع صاحبه أو معتنقه.

في هذه الرواية يتم استدراج الأطفال إلى المعسكرات تحت الأرض، وفي الكهوف، وفي شروط إنسانية غاية في القسوة عبر تدريبهم على القتل والنشل والسرقة لخدمة القضية اليهودية. هكذا تتم صناعة القاتل وتشويهه باسم الدفاع عن المظلومية التاريخية بعد أن يعبأ بأيديولوجية خلوصية، وهمية تعمل على تعزيز تراتبية القوة والنفوذ والسلطة في الجانب الآخر من المعادلة.

فالذي يبحث عن الحرية عبر السلاح يقع في أسره، تحت رحمته، يستعبده ويقيده. ويتحول حامله إلى ضحية، مجرد شواء في حفلة كبيرة عنوانها: الحضارة.

هذه الحضارة، ماكرة قائمة على التسلط والهرس وتمزيق كينونة الإنسان من الداخل عبر تغليفه بايديولوجيات كاذبة تسحق الإنسان، وتسرق حريته، وحياته الطبيعية، وتحوله إلى مجرد آلة، تابع مهزوم في يد من يقبض على مفاصل الحياة، كالمال والقوة والنفوذ، عبر تغليف عقله وتكوينه النفسي بقضايا تبدو من الخارج أنها عظيمة، بيد أنها في الواقع هي لإعادة تكوين تراتبية النخبة المالية والنفوذ والسلطة الموازية لتراتبية القوة للمحتل أو تحقيق مكاسب كبيرة عبر التضحية بحيوات أناس لا يعرفون معنى مفهوم الحرية إلا بما يحقق لهم المزيد من التعويم في المكانة والقوة.

يهوذا، هو بطل هذه الرواية، دخل المعترك السياسي في العام الثالث أو السابع لمجيء المسيح، حوله باراباس المدرك لهدفه، إلى مجرد «أنا» مهزومة، موظف، حامل سلاح خدمة لهوس داخلي يتعلق بتكوينه النفسي والعقلي. تحول يهوذا المشوه نفسياً وإنسانياً، إلى ثائر وهو طفل صغير في العاشرة أو الثانية عشرة من العمر دون أن يعلمه معنى التحرر أو الحرية أو يساعده في الارتقاء في المعرفة أو البحث عن الحقيقة، قال له:

أرض اليهود محتلة من قبل الرومان ويجب تحريرها. التحرير، الكلمة السحرية الخالية من المضمون الواقعي، بالاعتماد على بعض المقولات الفضفاضة جاءت في كتبهم:

ـ إن الخلاص سيكون بمجيء المخلص، وعلينا أن نقاتل إلى حين مجيئه.

بهذه التراجيديا الوهمية القائمة على نبش الذاكرة المريضة للعقل الدوني، في البحث عن خلاصهم. في مجتمع رعوي متأخر لا يقوى على هضم الثقافة الأخرى. صدم بالحضارة التي جاءت من خارجهم عبر المحتل، وغيرت من حياتهم، بيد أن النخبة المالية والكهنة اليهود فهموا مصالحهم، لهذا تعاونوا مع الرومان، بل تحالفوا سياسياً ومالياً. فالنخبة تدرك ماذا تفعل لأنهم يمتلكون وعيهم الخاص لدورهم ومعرفة مصالحهم، ومدوا الجسور مع النخبة في الضفة الأخرى، وحولوا المجتمع إلى مجرد طعم لاستمرار هيمنتهم ومكانتهم والإبقاء على نفوذهم في تداخل متكامل بنيوياً، كوحدة المصالح والعلاقات والتقاطعات التي توحدهم.

إن مفهوم الخلاص، ولد في مجتمع رعوي متأخر دخل المدنية على يد الآخر، لم يهضمه أو يتفاعل معه. لهذا بقي في وحدته يتعامل مع هذه المدنية من خارجها بقلق وخوف وتوتر وتمرد.

يسأل أحد الأطفال اسمه نتنائيل للطفل يهوذا الذي لم يبلغ الثالثة عشرة من العمر، عندما عادوا من الهجوم على محمية رومانية، بينهم يهود متعاونين معهم، بقصد السرقة والقتل، وبعد أن قتل يهوذا أول إنسان في حياته:

ـ قتل إنسان عمل شاق، أليس كذلك؟

وعندما هموا بحرق البيت بمن فيه، يسأل نتنائيل بصيغة الاستنكار:

ـ يوجد طفل فوق! يرد عليه براباس:

ـ كان يجب قتله! هذا المال سيساعدنا على العيش فترة من الزمن. هيا اخرجوا سريعاً، سأضرم النار في البيت وألحق بكما.

ولم يكتفِ باراباس بتشويه يهوذا والاستحواذ عليه ككيان، وكائن وإنسان وتحويله إلى أداة، بل استولى على ميراث أبيه، الذي صلب أمام عينيه لمقاومته المحتل، بالارتباط جنسياً بوالدته لإرضاء غريزته الجنسية، والانتقام، كميراث لا شعوري، من ضحية أخرى، عملت من أجل تعويم نخبة يهودية أخرى كانت ستتعاون مع المحتل.

استطاع الروائي الفرنسي أوبير برولونجو أن يجول بثقة عميقة في قلب التاريخ وحيوات الناس في أرض فلسطين، أن يدخل التكوين النفسي للإنسان اليهودي، في ثقافته الدينية، في تشوهاته وتشوهات حيوات المقاومين، وفي عقلية النخب اليهودية. ساح في تفاصيل الأرض، في ذاكرة الناس. سار في جبال مؤاب، وعلى ضفاف طبريا، وقرأ لنا عن الهوام والهذيان الذي يعيشه البسطاء في بحثهم عن الخلاص عبر التبشير، الوهم. إنها حالة متجذرة عاشوها ويعيشونها إلى الأن، لكونهم غير مدركين لحقيقة الواقع وقسوة شروط عمل السلطة ونخبها في إدارة الصراع للسيطرة على المهمشين والبسطاء. لم يكن يعرفون كيف يقبضون على وجودهم وحاضرهم ومستقبلهم. اليهود ككتل بشرية في حالة ضياع ضمن مطرقة المحتل الداخلي والمحتل الخارجي، وفي بيئة شحيحة في العطاء، أصحابها مجرد فئة فقيرة بالعلم والمعرفة، رعوية لا يعرفون كيف يسخرون الواقع لمصلحتهم، لعدم امتلاكهم المفاتيح والعلم والأدوات الحضارية المعاصرة لزمانهم.

ومن خلال هذه الرواية، عرفنا أغلب المدن والبلدات والأنهار والجبال والتلال.

إن بطله يهوذا، المشوه إنسانياً، لم يحب بشكل طبيعي من فتاة بعمره. عاش وسخر حياته باحثاً عن مفهوم لا يدركه. وعندما شب وانطلقت غرائزه لم يرَ أمامه إلا المواخير والبيوت الليلية، دفع المال من السرقة أو عبر دعم الميسورين الذين يتعاونون مع المحتل، لتلبية حاجاته. ولكونه إنساناً معدماً، معوماً نضالياً، لا تتعرف عليه العائلات اليهودية، ولا يزوجونه ابنتهم، لأن أبيه قُتل، وأمه ماتت، وفرط عقد نسلهم بالكامل وتذرت في الهواء كما هو حال أغلب الضحايا.

نعرف أورشليم بدقة، أحياءها، مواخيرها، الطبقة العليا ورجال الكهنة، ورجال المال والسلطة.

رواية أو حكاية، جديرة بالقراءة والتحليل والدراسة.

قصة قصيرة

هزيمة نكراء

صلاح عيسى

على متن طائرتهم الحديثة، قدم فريق الدببة من بعيد، وكلهم أمل بالفوز وغرور واستعلاء، مشرئبي الأعناق، متفاخرين، مراهنين على الفوز في بطولة كأس التحدي على فريق الحرية الصاعد حديثاً، والمتسم بحس المسؤولية لمواجهة الخصم، وندية الدفاع والأخذ على عاتقه الذود عن مرماه، ومنع الخصم من إدخال الهدف ضمن مرماه، وعلى أرضه التي تلقى فيها أهم دروس التضحية والنضال والدفاع عن القيم الرياضية، وامتلأت تربتها بماء الجبين التي هطلت بكد، من شدة قساوة التدريب، رغم الإمكانية المتواضعة، والمتمثلة بجمهورها المشرق الملتهب الذي يعشق التحدي.

لم يسوق القدر فريق الدببة لخوض مباراته مع فريق الحرية، لكن اتحاد كرة القدم (الفيفا) هو من تلاعب بأوراق القرعة، كل ذلك لتحطيم نفسية الفرق التي تنهض بنفسها وجماهيرها، وتمضي قدماً لكسر شوكة أبطال العالم، ممن راحوا يتفوقون دائماً بفضل تعاطيهم الحبوب المنشطة التي حرمت بقانون اللعبة، وكان ذلك خرقاً واضحاً من غير أن تجد من ينبري لضبط مثل هذه المخالفات، كل ذلك أيضاً لإخماد صوت الجماهير التي تصدح حناجرها بالتشجيع على أرضية ملعبها الأم.

لحظات وتبدأ المباراة بصافرة الحكم الذي بدأت نواياه السيئة تلقي بظلالها على أرضية الملعب، راح ينذر أصحاب الأرض بين هنا وهناك مستخدماً بطاقاته الصفراء، والحمراء، والإنذارات الشفوية، من غير أسباب تستدعيها، بينما تجاهل أخطاء خصمهم الذي راحت أقدامه تبطش بين هنا وهناك مرتدياً أحذيته ذات الساق الطويلة، مستخدماً أكفه لتمزيق قميص الخصم من الخلف، وخدشه بالأظافر لتسيل الدماء ويتبدل اللاعبون على نقالة الإسعاف، كل ذلك لشحذ الهمم، وسلب الدفاع قوته.

لكن ذلك لم ينفع أمام آلة الصبر والرباط رغم كل المعاناة والتحيز الواضح، ظلوا مستميتين في الدفاع عن مرماهم، وكأنهم كمن حرم الظمآن الوصول الى الغدير، المتمثل بالمرمى المدافعين عنه، على الرغم من رشاقة الهجوم وسرعتهم في نقل الكرات الملتهبة، لم يستطيعوا تحقيق أهدافهم بالفوز، مما زاد من غيظ المدرب المتكبر الذي حصد الكثير من الألقاب عبر التاريخ، من نفش ريشه كالطاووس، بدأ يفكر بطريقة تخرجه من هذه المتاهة والهزيمة.

فكر بالانسحاب من المباراة مع فريقه المبجل مطأطئين رؤوسهم ذائقين كأس الهزيمة النكراء بطعمه المر، كانوا قد لقنوا درساً، بأن أصحاب الأرض لا تهزمهم الأقدام الخشنة. لملموا حقائبهم، سلّوا أنفسهم من بين الجمهور الثابت بعزيمته، ليعتلوا سلم طائرتهم التي أقلتهم، لذلك المكان، شاكين لعنة القدر بقذارة ما صنعت أقدامهم، وخسة مردود نتاجها. وما سلط من ضوء إعلامي حول هزيمتهم، وما اعترى ذلك من سخريات.

على أثرها بدأ فريق الأحرار أصحاب الأرض بتجهيز نفسه لمباريات مختلفة، ومفاجئة مستفيدين من مجريات اللقاء، بدأوا بالغناء وجمهورهم يشجعهم مردين الكلمات الخالدة:

- لا تراجع.. لا استسلام!

قوس قزح

«الأفوشور»

الملاذات الآمنة للّصوص والقتلة

أسعد فخري

لم تعد أطباق فضائح ويكليكس التي فتحت شهية العامة، والخاصة من الناس كي يبصروا بأم أعينهم مفسدة أولي الأمر منهم، ولا عادت روائح بهارات همبرغر العميل «سنودن» العبقة التي نثرها ذات يوم على صفحات «الواشنطن بوست، والغارديان البريطانية» مفتضحاً فيها برامج «بريزم» التجسسية للمخابرات الأمريكية، كلاهما في هذا المقام فقدا بريقهما أمام الشهية التي أحدثتها أطباق الوجبة «البَنَمية» الدسمة لتسريبات شركة «موساك فونيسكا» بتنوع أطباقها الفاخرة، والأكثر سخونة، وطزاجة عن مثيلاتها في الافتضاح، وكشف المستور الذي طال العديد من الزعماء والملوك والرؤساء العرب، كما أصاب العديد من زعماء دول أخرى في العالم، وفقاً لوثائق تسريبات «بنما» التي تعد السابقة الأولى في تاريخ هذا الكوكب من جهة حجم الوثائق التي تجاوزت «11» مليون وثيقة، والصدمة التي خلفتها جراء الإدانات الواضحة التي طالت عروشاً طالما تنطعت بحماية المقدسات، وزعامات انتهجت أكذوبة المقاومة، والممانعة، والصمود، والتصدي، وحماية الأقليات، والحرب على الإرهاب.

إن أهمية تسريبات «بنما» لا تشكل حالة صادمة، وداوية في فضائحها وحسب، وإنما جاءت لتعيد الاعتبار أيضاً «للصحافة الاستقصائية» وتثمن دورها الكبير، والهام في كشف لعبة جزر الملاذات الضريبة العابرة للحدود، وافتضاح المستور في عملية إنشاء الحسابات البنكية، ومساعدة اللصوص، والمتاجرين بالسلاح، والمخدرات، وتبييض الأموال المنهوبة، والتحايل على العقوبات الدولية عبر افتتاح شركات مخادعة، كما أنها افتضحت الأدوار المشينة لغلمان وزبانية الزعامات والسلطانيات البغيضة في دول عربية عديدة ممن وردت أسماؤهم بتفاصيل تاريخهم القذر والآبق في الاحتيال والنصب المنهجيين.

واللافت الذي لا بد أن ندرك مفاعيل حضوره داخل تلك التسريبات البنمية، الإشارات الواضحة، والصريحة لأسماء رجال أعمال سوريين بعينهم لعبوا دوراً مريعاً في الالتفاف، والتحايل على العقوبات التي أصدرتها وزارة الخزانة الأمريكية والكثير من المؤسسات الأوربية جراء استخدام النظام الحلول الأمنية للرد على انتفاضة الشعب السوري، حيث تم تجميد التعاملات المالية مع البنوك السورية، وحسابات لرجال أعمال ووزراء وضباط كبار في العصابة الأسدية، التي تحتل البلاد منذ أكثر من نصف قرن لنتبين الدور المريع الذي لعبه غلمان النظام السوري عبر الأخوين مخلوف اللذين استطاعا الهيمنة على 60% من منافذ الاقتصاد السوري، وسيطروا على قطاعي النفط، والاتصالات، وثالثهما رجل الأعمال «سليمان معروف» الملقب بـ«فيسكر الأسد» المتسوق الأقرب لقلب وذائقة السيدة أسماء الأسد لتأمين حاجياتها من محلات «أرماني وهارودز» اللندنيين، حسب ما ورد على صفحات الغارديان البريطانية في يوم «5 ابريل 2016»، كما أنه صاحب العصا السحرية في تأمين استثمار الصفقات العقارية في «جزر العذراء» البريطانية لسيدة الوطن الأولى، وسيد الوطن الأول بمبالغ تقدر بعشرات ملايين الجنيهات الإسترلينية، إضافة إلى دوره الكبير في الإفراج عن مبلغ «4» مليون دولار من حسابات «رامي مخلوف» المجمدة في البنوك البريطانية، وتحويلها إلى أحد البنوك السويسرية، حيث خصصت كرواتب تدفع للشبيحة، ولشراء أحدث أدوات قمع التظاهرات التي عمت البلاد.

إن أخطر الوثائق المسربة من مكتب «موساك فونيسكا» البنمي وثيقة تخص شركة «pangatrs» المملوكة لرامي مخلوف، والتي مقرها دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث قامت تلك الشركة بالتحايل على العقوبات المفروضة عليها من خلال التعاون مع الشركة البنمية بتأمين وقود لطائرات النظام الحربية التي تنفذ هجمات على المدن السورية الثائرة، وأن مكتب «فونيسكا» البنمي استمر في تمثيلها دون أن يلتزم بالعقوبات المفروضة عليها من قبل وزارة الخزانة الأمريكية. والصادم في الأمر هنا أن السلطانية الأسدية لم تعد تكتفي بقتل الناس وتدمير مدنهم، بل ذهبت أبعد من ذلك في استثمار الأموال المنهوبة، وغسلها بدماء السوريين في الجزر الضريبية الآمنة.

هَلَكْ شالوا؟!

إبراهيم الجرادي

إذا هاجرتَ أو هُجرتَ
فلتترك على الشباك أغنيةً
وفي الدنِّ الذي عالباب
اترْك حفنةً من ماء
لعلَّ العابرَ الجوال
يشربها ويرتحلُ
هنا كانوا..
إذا هاجرت أو هُجرتَ
فلتترك على الشباك أغنيةً
إذا هاجرت أو هُجرتَ
لا تحمل كثيراً من ثياب البرد
وخلِّ الباب مفتوحاً على الطرقاتْ
فإنك عائدٌ، يوماً، إلى «ماءِ السبيلِ»
وفيِّ تلك الدار
ولا تيأس
إذا ما زادت الأحمالُ أو ضاقتْ عليكَ الحالْ
وقلْ: يا ربُّ ساعدني
لكي ألقاكَ ساعدني
ولا تقسوْ
ولا تعتَعِن الضليل على ضلالتهِ
ولا تعفو.
إذا هاجرتَ أو هُجرتَ
لا تمشِ، بحق الله، لا تمشِ، على مَهَلٍ
ولا تنظرَ إلى الخلف
لأن الصوتَ خلفك راجفٌ مبحوحْ
ولا تبكِ، بحق اللهِ، لا تبكِ
لأن حمامةً سقطت، هنا في البئرِ،
أو نجماً هوى في الساحِ،
أو طفلاً تعثر في جحافلهم:
دواعشة
وأكراد صليفيونَ
فرس نائمون على ضلالتهم
وقاتلةٌ وممسوسون
توقف في الطريق الوعر وانهضْ
واحملْ صخرةً واصعدْ
على جبل القيامة
واشعل النيران
إذا هاجرتَ أو هُجرت
فارسم في الفضا بيتين
يحط عليهما بومٌ وقبرةٌ
ينام البومُ في السقف الذي يهوي على النيَّام
وقبرة
تحن كما تحنُ الخيلُ
في السهل الذي يبكي على الخابورْ.
تلفتْ لا تكنْ وَجلاً ولا خجلاً
وقل للمرأة التبكيك:
لميْ الثوبَ عن حبل الغسيلِ
وهيئي مسرايْ
وعودي
واغزلي ثوباً
من الصوف الذي غزلته أمي
في أوانِ البردْ
وكوني مثلما أنتِ
على قدِّ الوقيعة
تنسجين الصوف
تنتظرين
تنتظرين
تنتظرين في الوقت الذي أمشي إلى بلوايْ.
إذا هاجرتَ أو هُجرتَ
لا تنسَ سلاحاً نائماً في «العدِلْ».
وخذ حَجَراً صغيراً لِفَّه في الثوب
ولا تنسَ وصايا الشيب إنْ أدركتْ:
عدوك عند باب البيتِ
وحشٌ نائمٌ في فروِ مِلَّتِه
وخذ من حكمة المنفى
ومن مُدنٍ ستكرهُها
وأخرى سوف تكرَهُكَ
وقل: يا ربُّ
إني موشكٌ في الظنِّ
ساعدني على قلق الهدايةِ واهدني يا ربُّ
إني ذاهبٌ في الشكِ حتى اليأس
في الوسواس
من عُلجٍ ومن خناس
ساعدني
ساعدني ومدَّ يديك كي ألقاك
إذا هاجرتَ أو هُجِّرتَ
قل للأرض: يا أرض السموات القصية والجهات الخمس!
أقتْلي عادلٌ بيديك: شيعيٌ، أسنيٌ، أكردي صليفيٌ
أم اني يا بلاد الله، أستشري كما الحمى وبي برصٌ
وأصعدُ في دمي كالسلِّ، أخلقُ قاتلي المذعورُ من ضلعي
وأمتدحُ الخراب ولوثة الملعونْ.
هل اني، يا وريث خرائبي، أغفو على أرض يكفنها الغزاةُ
وبعضهم من نَسْلِ جائعةٍ وحافيةٍ وخائنةٍ وأفاكينْ.
أيهديني إلى بلوايَ قلبي والضميرُ الحرُ؟
أأسهو؟ ـ ربما أسهو! ـ عن العربات تحمل
جثتي.... تلهو؟
يَنْهَلُّ في الطرقات موتاً أسوداً وسياطا؟
عن الثلج الذي سيذوّب الأقدام مثل الجمرْ
عن البحر الذي يتصيّد الأطفال مثل القرِش
عن البهلولِ
عن حاشيةِ الممسوس وابن اللغو، وابن جريرة
الأسلاف
عن العربات تحمل جُندها القتلى، عن الشُرفات
مغلقةً، ومغلقةٌ قلوب الناس مثلَ القبر
يستر خوفها التابوت؟
أأحمِلُ، كي أراكَ مُكللاً بالنصر تابوتي؟ وأحملُ
جثتي على قدمين، كي تلقاك صاغرةً؟
أتستعدي عليَّ العُلجَ مثل مكيدةٍ عمياء،
تهدم ما تبقى من دمي العنقاء، تزهرُ وردةٌ حمراءُ
في هذا السديم ـ الديم
ويدركني، هنا، سغبي
وتدركني، هنا، سَرْبيّةُ الشهداء:
في بيت الشهيد سيولد المعنى:
هنا باقونْ.
هنا باقون، إن متنا، وإن غيبنا، هنا باقون
هنا باقون
يهمس ياسمينُ الشام في أُذنيّ عاشقِهِ:
تريّث..!
سوف ينهض فيكَ سيلُ الله، يختلج الحصى
في مائهِ الشاميِّ
تنمو وردة اللبلاب أغنيةً على الشباك:
هنا باقون مثل شجيرة العُليق
مثل الماء مثل الملح
هنا باقون في صوتِ الغرانقِ، في
مياه النهر، في خبز
الشعير، وفي أنين الناي
في هذا المدى المسكون بالأعداء
في حقِ الحياةِ
وفي هذا النفير الحُر
هنا باقون أحياءً و أمواتاً هنا باقون
إذا هاجرتَ أو هُجرتَ
فاترْك في الثياب الشوكَ والعاقولْ.
ليوخز قلبك المليان بالحمى،
ولا تشكو،
ولا تستدعي الأهلينَ غير أهِلّةٍ أهلينْ
ولا تبكِ الضحايا،
فالطريق إلى جنان الله سالكةٌ،
ولا تخشَ إذا مرّت على الطرقات
قطعان من الذئبان:
دواعشةٌ،
موآبيون،
فرسٌ قائمون على بلاغتهم
صواريخ الفتى المذعورِ
روس فاسدون ومثلهم روس
سلاجقةٌ
مماليكٌ
بويهيون
أكرادٌ صليفيون
أعراب، كما الأعرابِ، سافلةٌ وخائنةٌ
وملعونون

* * *

تبارك بالتراب/ الدمِّ واقرأ «سورة الرحمن»
لأن الله يمتحن الخليقةَ في فواجعها
وكنْ كَلِفاً بما تبغي:
على وتر العذاب يشدُّ ضلعّكَ
صوتُ من غابوا،
ومن رحلوا،
ومن قُصفوا،
ومن جاعوا،
ومن عطشوا،
ومن قُتلوا،
ومن في اليمِّ غيّبهم إله اليم.

* * *

هَلَكْ شالوا؟
هَلَكْ عِز النزيل وعز من قال
هَلَكْ ريح الشمال وموقد النيران
هلك نفحاتُ هيلٍ فايح بالليل
هلك دك النجر بالصبحْ
والطراق يزدحمون
هلك جِرْسُ القيامةِ قبل موعدها
وقبل تَرَدُدِ الآذانْ

* * *

تبارك بالترابِ/ الدمْ
تبارك مرةً أخرى
وكنْ شعراً إذا هاجرت
وكن وطناً إذا هاجرت
وكن كَلِفاً (بمن) أحببت،
أرض الشام
أرض الله
أرض البدء والإنسان.

هوامش:

• هلك شالو؟ (أهلك رحلوا)، مطلع مرثية محمد الفاضل الخالدة.
• العدِل: كيس منشوج من الصوف أو الوبر تحفظ به المؤونة.
• العاقول: شجيرة برية، ذات أشواك حادة، تنبت كثيراً في الشمال السوري.
• الموآبيون: نسبة إلى مؤاب ابنة لوط.
• لأن الألم لا يُفصحُ؟! يرجو صاحب النص أن تقرأ المقاطع العامية كما كتبت.

قيثارة الحروف

شعر: فوزية المرعي

دَوزِنْ حروفكَ بالشجن ...وامنحهُ زاجلةَ الفننْ
فالدّرُ في يمِّ النوى والجسم أعياه الوهنْ
كن منهل الحب النقي لا تدنُ جفنات العفنْ

جنحٌ تضمخَ بالأنين ... وآخر أدمى الوطنْ
لو كان يعلم عاذلٌ لرماهُ في سَهمِ الفتنْ
رقراقُ وِرْدِكَ راقني والعينُ داعبها الوسنْ

يحيى تناهدتِ الرؤى ... والحرفُ في العلياء جَنْ
إن كنتَ صّباً لا تَخُنْ او كنتَ ربّاً لا تَهنْ
يا ليتَ ذياك َاللقا ... راووقُ بوحيَ ما احتقنْ

أو كنت نِدّاً فانثني طوبى لمن أحيا وَتَنْ
وجدٌ يلظي مُهجتي ... والدمعُ في الروح سكنْ

أنتَ الشجن أنت الفنن ... ولأنتَ قيثارٌ أغَنْ
ماذا اقولُ إلى الشغاف ونبضُ بوحي مُرتَهنْ
نجواكَ في قلبي غَدَتْ كالسّمِ يسري في البدنْ

الرئمُ في دوحِ الأسى ... والوجدُ في المحراب أنْ
هل بات من رام السما عند الثريا يرجهنْ..؟
مالَ الزمانُ بأهلهِ ... فمن الفرات إلى عدنْ

أأنا متيمةُ الهوى ... أم مسّهُ التأنيثُ جِننْ..؟
جرحٌ يناغيهِ الغروبُ وآخر غرده الشجن
جَرِّدْ حُسامكَ واتقدْ ... ما عادَ للروح ثَمَنْ

معذورة لُجَجُ المُنى ... إنْ كابدتْ سِرَّ المِحنْ
سحرٌ سرى في خافق والصبُّ دوماً ممتحنْ

اغتيال حُلُم

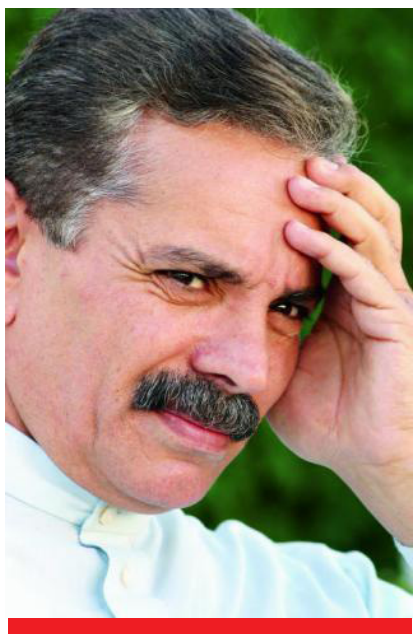

عبد العظيم إسماعيل

خرج أحمد ـ طالب الثانوية العامة ـ من قاعة الامتحان سعيداً لسببين؛ أولًا: لأنه أجاد في مادة اللغة العربية، والثاني: لأن هذا إيذانٌ بنهاية الامتحان الذي أرهقه مادياً ومعنوياً، والذي سيكون كذلك مفترق طريق يحدّد به مستقبله وتطلّعاته، وخاصة، وهو من المشهود لهم بحسن الخُلق قبل التفوّق الدراسي في حيّه وبين أقرانه. ينتظره أصدقاؤه وأبناء حيّه كعادتهم في نهاية كل مادة يمتحّنونها، ليتناقشوا فيما كتبوه، ويضعوا توقّعاتهم في ما لو حقّقوا العلامات المناسبة التي تخوّلهم بالتسجيل بالفرع الذي يرغبون به، حتى يصلوا إلى بيوتهم، وهذه حالتهم دون ملل كل يوم. توجّهوا بالسؤال لأحمد عن رغبته، وإذا كان بالإمكان تحقيقها. ردّ أحمد باسماً وبثقة: ـ إن شاء الله محقّقةً.. ولن أرضى بأقل من كليّة الطبّ، وأنتم تعرفون جميعاً عندما تكونون في منزلي، بماذا تنادينني والدتي؟ أجابوا بصوت واحد، وهم يضحكون: دكتور أحمد. ـ إذن، لن أخيّب أملها وحلمها في أن أكون طبيباً. ثم تمتم بينه وبين ذاته: ـ وكيف لا أسعى لأن أسعدها، وهي التي نسيت الدنيا من أجلي، بعد وفاة والدي رحمه الله، وكانت الأب والأم في الوقت ذاته.. ولم يعده إلى الواقع إلاّ صوت أصدقائه، وهم يمازحونه قائلين له: ـ دكتور أحمد... نحن هنا..

****

وبعد أقل من شهر، تعلن نتائج الامتحانات العامة، وليكون اسم أحمد متصدّراً قوائم الناجحين. الفرحة لا تسعه وأمه التي بدأت تشعر بأنّ ابنها قد وضع قدمه في بداية طريق حلمها، فالخطوة الأولى تمّت بنجاح باهر، وبانتظار الخطوات الأخرى. أسابيع قليلة مرّت، وإذا بأحمد يتنقّل في كليّة الطب بين مدرجاتها ومخابرها مرتدياً معطفه الأبيض الطويل بزهوّ. وفي نهاية كل يوم دراسي يخرج من الكلية واضعاً معطفه الأبيض على ذراعه وكأنّه متأبّط ذراع فتاة أحلامه، يرافقه مجموعة من أصدقاء حيّه في الكلية ذاتها، وهم يتحدّثون بين جدّ وهزل، وأحاديث بين الماضي القريب والحاضر وأحلام المستقبل. وبينما هم على هذه الحالة، دوّى انفجار هائل غطّى على أصواتهم، وعلى هدير السيارات في الشارع . ارتفعت سحابة من الدخان سوداءَ لامعة نحو السماء ترافقها أشلاء بشرية وبقايا مختلفة ممّا كان في موقع الانفجار، أعقبه اشتعال في مركز الانفجار ومحيطه القريب. لم يشعر أحمد بنفسه إلاّ وهو محلّق في الهواء، ثم ليهويَ بسرعة على سيارة كانت متوقفة على جانب الشارع، ليسقط منها على أرض الشارع المسفلت حيث يتلقّاه سطحها بخشونة وقسوة. أراد أن يعرف أو أن يتذكّر ماذا جرى، وهو مستلقٍ على الأرض بلا حراك.. لم يستطع وكأن فرقة من الطبول تدّق في رأسه.. الرؤية غير واضحة.. ما يراه أشباه أناس تتحرك من حوله، وكأنهم أشباح.. الأصوات تتعالى من كل جانب.. الدنيا تلف به، وكأنه مسمّر على دولاب يدور به.. أراد الحراك، لم تطاوعه أعضاؤه.. بدأت الأصوات تتلاشى.. وسيطر اللون الأسود على عينيه، وأصبح في عالم آخر لا يدري عنه شيئاً..

****

فتح عينيه، لا يدري، بعد كم من الوقت؟ يبدو أنه نائم على شيء يتحرّك به وسط ممر على جانبيه أناس بملابس بيضاء، وهم يتحدّثون بصوت مرتفع: ـ أسرعوا به.. لقد نزف الكثير من دمه.. إلى غرفة العمليات فوراً. خفّت حدّة الأصوات.. غابت الصور.. لم يعد يشعر بشيء. عاد يفتح عينيه من جديد، لكن، هذه المرة بتراخٍ في أعضائه، وغشاوة على عينيه تمنعه من تحديد معالم الوجوه التي تحلّقت حوله، رغم هذه الحالة المؤلمة المستحدثة عليه، لم تمنعه من أن يتعرّف على صوت مألوف لديه نبراته أشعرته بالأمان على الرغم ممّا هو عليه، إنه صوت أغلى البشر لديه؛ صوت والدته.، والذي زاده راحة أكثر أناملها الحانية وهي تمسح على رأسه متخلّلة شعره بكل رقة وحنان. أدرك وضعه الآن، إنه في المستشفى، ويرقد فوق سرير أبيض نظيف.. ولكن، لماذا هو هنا. هل هو مصاب؟ أراد أن يتعرّف على وضعه بنفسه ودون أن يسأل أحداً ممّن يحيط به. يداه تتحركان، تمثّلهما.. خدوش بسيطة لا أكثر، لا تثير قلقاً.. أدار نظره باتجاه أقدامه الممدّدة أمامه.. حرّك قدمه اليسرى بسهولة سرّته، انتقل لتحريك قدمه اليمنى، لم يستطع، إذ كانت شبه ثابتة، وملفوفة برباط طبي كثيف. كان الجميع يراقب تحركاته بصمت يشوبه التوتر والعطف.. نقّل نظراته على وجوه الحاضرين التي كانت تحاول رسم ابتسامات، إلى أن تلاقت نظراته مع نظرات أمه التي كانت تقف بجانبه، وهي تحاول حبس دموعها في عيونها، راسمة شبه ابتسامة، وتسلّلت أناملها نحو يده الممتدة إلى جانبه، فأمسكتها بلطف وحنان، وانحنت على جبينه تقبّله بشفتين حارتين مرتجفتين. أراد الكلام، لم تسعفه شفتاه، إذ غاصت كل الحروف التي يعرفها أو يريد أن ينطقها في حلقه. خرّت دمعتان حارّتان حائرتان من عيني أحمد، وسرعان ما تلقّتهما أصابع والدته لتزيلهما عن وجنتيه الشاحبتين، وأخذت المبادرة بالكلام: ـ الحمد لله على سلامتك يا ولدي.. وضعك لا خوف عليه.. جُرح بسيط في قدمك اليمنى، وستشفى منه سريعاً إن شاء الله .. اسأل الطبيب، وسيطمئنك بنفسه. تدخّل الطبيب محاولاً طمأنته، وبأنه بعد أيام قليلة ستتماثل قدمه للشفاء، ويغادر المستشفى لبيته ماشياً.. تمنّى له الشفاء، ثم غادر إلى مريض آخر.

****

أدار أحمد رأسه باتجاه النافذة مخترقاً بنظراته الحزينة زجاجها نحو غيوم متراكمة بيضاء تبدو كظهور النعاج، مصبوغة بأشعة شمس الأصيل المنحدرة نحو المغيب، مطلقًا تنهيدة حارة.. مسترجعاً العديد من الذكريات، التي باتت تمر أمامه سراعاً كشريط سينمائي.. لم يعده إلى حاضره سوى صوت أمه الهادئ الحنون، ويدها الحارة التي تمسك بيده برقّة ومودّة، لتمنحه جرعة من الطمأنينة وبعضاً من العزيمة والثبات تبعث فيه الأمل. رفع رأسه من جديد إلى نهاية السرير حيث موضع قدميه.. المنظر مختلف قدمه اليسرى وأصابعها منتصبة إلى الأعلى ويحركهما براحة ودون أي عناء! لكن، قدمه اليمنى، وضعها ومنظرها مختلف! فهي ثابتة وشبه مستوية مع ساقه الممدودة، وكأن الصورة بدأت تتجسّد أمامه.. تمالك نفسه ناظراً إلى عيني والدته المغرورقتين بالدموع، المتشحتين بحزن مخنوق، محاولًا الكلام، وكأنه يسألها بنظراته التي تثقب القلب حزناً والمتنقّلة بين عيونها وقدمه بدون أن يتكلّم: هل قدمي..؟ تهز أم أحمد رأسها بالإيجاب، ثم تعود سريعاً لتنفي ذلك بحركات يديها. تتصنّع الوالدة الثبات، وتردف قائلة: ـ لو رأيت، يا بُنيّ ما جرى، لشكرت الله على ما حدث، حتى وأنت بهذه الحالة.. . يا بنيّ، ما حدث شيء مروّع يعجز اللسان عن وصفه.. جثث محترقة، مقطّعة الأوصال.. أشلاء بشرية متناثرة.. جرحى يصيحون ألماً ورعباً.. أحمد متابع والدته باهتمام وذهول، وعندما رأته بهذا الاهتمام، استرسلت بالشرح والتوضيح، مبيّنة له الحقائق من أفواه من كان شاهداً لحظة الانفجار وبعدها، بالإضافة إلى ما رأته هي على شاشة التلفاز. ـ جريمة لا تُوصف! الحمد لله الذي منّ عليك بالنجاة، يا بني. وتواصل الأم المكلومة محاولاتها، لكي توصل له الحقيقة بأقل الألم والحزن الممكن.. ـ أنت على الاقل، بقيت حيّاً سليماً بكل جسدك، ما عدا بعض الكدمات والجروح السطحية البسيطة.. وكل شيء من الممكن أن يتعوّض الآن. أليس كذلك، يا دكتور أحمد؟ ورافقتها بابتسامة مريحة، فالطب الآن في تقدّم وتطوّر لا يهدأ، وكل يوم شيء جديد، وحتى لو فقد الإنسان جزءاً من جسده، صار بالإمكان تعويضه. اقتربت أم أحمد من ولدها أكثر، وأمسكت كلتا يديه بيديها، وأخذت تقبّلهما وهي تبتسم، بعد أن رأت بعض الانفراج على قسمات وجهه، وأدركت أنها حقّقت هدفها من خلال الحديث مع ابنها. يتساءل أحمد بحرقة وألم: ـ ولكنها قدمي يا أمي، وما ذنبي أنا حتى أفقدها؟ ـ أم أحمد: وما ذنب الآخرين الذين دفعوا ثمناً أعظم! حياتهم.. ممتلكاتهم.. وأشياء أخرى، من يتحمّل المسؤولية.. من؟ ـ أحمد: ولماذا الأبرياء هم دائماً من يدفع الثمن؟ ـ أم أحمد: يا بني، قل هذا لمن يفعل هذه الأعمال المنكرة التي لا تُقِرُّها كلّ شرائع السماء والأرض.. أين الضمير أم أنه نائم عندهم؟ سادت فترة من الصمت، أعقبتها طرقات خفيفة على باب الغرفة، تدخل الممرضة لملاحظة بعض الأجهزة التي تراقب حالته.. تطمئن على وضعه وتشجعه ببعض الكلمات المصحوبة بابتسامة عريضة، وتطلب من والدته أن تدعه يرتاح بعد أن وضعت له بعض الأدوية في المحلول المعلق المتصل بيده. أمسكت أم أحمد يده الأخرى تضغط عليها برفق، بينما بدأ النوم يغزو مقلتيه ببطء، وهو يحلم بغد مشرق خالٍ من اغتيال الأحلام البريئة، ويرى نفسه طبيباً يداوي جراحات المرضى، ويخفّف عنهم آلامهم، حتى لوكان بقدم واحدة.

صحيفة الحرمل: ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين
رئيس مجلس الإدارة و رئيس التحرير: بسام البليبل / مدير التحرير: يوسف دعيس
ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI: **38** YIL: 2016 (**2**.)
İMTİYAZ SAHİBİ: **ŞÜKRÜ KIRBOĞA** - EDİTÖR: **BASSAM ALBULAIBL**
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 **MOB: 00905316201958**

W W W . A L H A R M A L . C O M
للتواصل عبر فيس بوك Facebook.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر تويتر Twitter.com/AlharmalJournal
للتواصل عبر البريد الإلكتروني Alharmal.journal@gmail.com
Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa

ببالغ الحزن والألم تلقينا نبأ استشهاد الشهيدة «بتول العلوش» شقيقة الزميل الأديب إبراهيم العلوش، التي ارتقت شهيدة بإذن الله إثر عمليات القصف الجوي التي استهدفت المناطق السكنية في مدينة الرقة، وراح ضحيتها عشرات الشهداء والجرحى.
للشهيدة بتول العلوش وشهداء سوريا الرحمة والمغفرة، ولذويها الصبر والسلوان.

ثورة الحرية تخسر أحد فرسانها الشجعان

وفاة المعارض السوري حسين العودات في دمشق

الحرمل- وكالات

توفي الخميس 2016/4/7 في دمشق الكاتب والمعارض حسين العودات عن عمر يناهز الثمانين عاماً بعد مرض لازمه في السنوات الأخيرة.

ويعتبر العودات أحد أبرز المعارضين الذين ظلوا في دمشق، وكان يتمكن من قول رأيه الصريح عبر الإذاعات والصحف في تأييد الثورة السورية، رغم الملاحقات الأمنية الشديدة التي كانت تعتبر قول الرأي المعارض بمثابة الخيانة التي تستحق التعذيب والاعتقال الطويل.

والعودات أحد أبرز رموز المعارضة منذ بدايات العقد الماضي، حيث كان وسط المؤسسين للحراك الثقافي والاجتماعي والسياسي السوري بعد العام 2001 المعروف بـ«ربيع دمشق»، وشارك في حينه بتأسيس لجان إحياء المجتمع المدني، وكان بين قياداتها.

كما شارك في نشاط المنتديات التي أطلقها السوريون للبحث والنقاش في الوضع السوري وحوله، وجرى اعتقاله من قبل الأمن السياسي في حينه، ثم شارك في تأسيس إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي عام 2005 بوصفه تحالف المعارضة الرئيس في سوريا.

وبعد انطلاق الثورة السورية عام 2011، كان العودات بين أبرز مؤيديها والمشاركين فيها، مما عرّضه للملاحقة والمتابعة الأمنية مرات كثيرة.

شارك في العام 2011 بتأسيس هيئة التنسيق، كما كان بين المشاركين النشطين في مؤتمر المعارضة السورية بالقاهرة عام 2015.

وإضافة إلى نشاطه في صفوف المعارضة كان العودات من كبار الصحافيين والكتاب السوريين. ففي مجال الصحافة، أسس العديد من المنابر الإعلامية بينها وكالة الصحافة العربية السورية «سانا» في العام 1966، وجريدة «أخبار العرب» 1990، وكتب في عشرات الصحف والدوريات العربية مقالات ودراسات.

وفي المجال الثقافي، ترك العودات بصماته البارزة في الواقع الثقافي، فقد أسس وتولى إدارة «دار الأهالي» للطباعة والنشر في دمشق عام 1987، التي تعد إحدى أهم دور النشر العربية، وألف العديد من الكتب من بينها «الموت في الديانات الشرقية»، «العرب النصارى»، «المرأة العربية في الدين والمجتمع»، «الآخر في الثقافة العربية»، «وثائق فلسطين (1879– 1987)»، وشارك مع آخرين في تأليف كتب بينها موسوعة الصحافة في بلاد الشام، وتولى الإشراف على موسوعة المدن الفلسطينية.

يذكر أن حسين العودات من مواليد قرية «أم الميادن» من ريف محافظة درعا عام 1937، حصل على ليسانس في الجغرافيا، وآخر في اللغة الفرنسية من جامعة دمشق، كما حصل على دبلوم في الصحافة.

الحرمل إذ تؤبن المفكر والثائر حسين العودات تعبر عن حزنها الشديد على هذه القامة الكبيرة، وكلنا أمل بأن الأجيال السورية الجديدة ستملأ ساحة الحرية بالمزيد من جهود الشباب من أبناء سورية الحرة والجديدة.

رسائل عاشقة..

أنا البربرية

ولا تملك سوى قلب مثقل بالعشق.. أنا بربرية البريّة.. أعرف جداً كيف أحب وأُحَبُّ، قبل أن تلفحني أيّها الهوى الدمشقي وترشق صوابي بالجنون احذرْ... أنا حفيدة (بوغرطة) المغامر.. أنا حفيدة (الكاهنة المتمردة).. الكاهنة التي قهرت جيوش المسلمين، وروضتهم بالحب اقرأ التاريخ جيداً أيها المجنون الدمشقي اقرأه وتمعن بتفاصيله أنا الكاهنة التي اشتهى أنوثتها القاصي والداني، وأنا التي عندما تململ ذكاؤها ووهجها الأنثوي، هزمت أجدادك وأسرتهم.. من معجزات الحب أن يجعل التاريخ أحياناً يعيد نفسه.. كان عليك أن تقرأ جيداً قبل أن تقرع باب قلبي.. احذرْ.. فأنت إن أحببتني أنهيتك.. دعني إذاً أحبك أنا بحفنة من نبض، سرقتها إليك من ذاك الزمن.. للسوريّ طبعٌ مني، ولي من السوري طباع أنا الفرس الشاردة التي تبحث عنك أيها الفارس السوري.. أنا برية الريح التي لا أُمس... وأنت أيها البعيد القريبُ قد أمسكت بي، قد يشبه شعرُك شعر (بوغرطة).. أو أنت من أحفاد (ماسينا).. ويشبهك قائد فرسانها....
كأنك هذا كله، ولأنك السوريُّ أخذت قلبي وعقلي...

رئيفة محمود _ تونس

زاوية حرة

رثاءُ الأحبّة!

إبراهيم العلوش

هل يحق للسوري أن يحزن؟ هل يحق للسوري أن يُعبِّر عن خوالج نفسه؟

أم أن السوري صار مجرد كائنٍ دائم النزف، ودائم الحزن، إلى درجة لم يعد يأبه به الآخرون، حتى من السوريين أنفسهم الذين يستريحون بين حزن مضى لتوه، وحزن آخر ستحمله الأخبار لهم بعد قليل.

هل يحق لي أن أتذكر بتول، أختي الصغيرة، التي كانت تلعب في الحارة معي قبل ثلاثين سنة من مداهمة الطائرات الروسية لها، وهي تصل قرب باب مستشفى الطب الحديث في الرقة، الذي تعمل فيه كممرضة.

كان المرضى ينتظرون مجيئها ذلك الصباح ليأخذوا الأدوية من يديها، لكن الروس أرسلوا أبله في طائرة لهم، ليقتل أختي مع عدد من المارة المجهولين، الذين كانوا يحلمون ذلك الصباح، بانفراج أحوالهم تيمناً بالأمل المعقود في نفوسهم، رغم السواد الذي يلف حياتهم!

أرسل الروس أبله في طائرة، ليس أبله دوستويفسكي الذي يحلّق بهواجسه في فضاءات النفس الإنسانية، وإنما أبله من بلهاء التدمير، ومن بلهاء التعذيب، والتنكيل الذي تكيله روسيا لشعبنا، من أجل مساندة مستبدنا الأبله، الذي حمت روسيا نظامه، ونظام أبيه عبر نصف قرن، ورسخت طرقه في التعذيب، وفي التنكيل بالسوريين، وأدارت أعتى السجون السورية عبر عقود طويلة، بخبرائها الذين يستمتعون بالتعذيب!

روسيا وإيران اليوم أكثر الدول عداءً لشعبنا السوري، روسيا وإيران اليوم أكثر مصادر الشرّ ضد الشعب السوري، روسيا وإيران أبرز مصادر القهر لنا ولوطننا!

سيقول بعض السياسيين بأن هذا الكلام مجرد كلام عاطفي، لا يُصرف في مصالح الدول، ولا في قراراتها وخططها الاستراتيجية، لكنني أعتقد بأن هذه التبريرات تصلح للبلهاء، ولعديمي الأخلاق، ولعديمي الشرف، ولا يصلح للشعوب!

عندما أحببنا الروس قديماً أحببناهم من أجل أبله دستويفسكي، ومن أجل روايات تولستوي، وقصص تشيخوف، وكلب بافلوف، وجدول مندلييف، وليس من أجل المذابح الجماعية التي قام بها الروس ضد الشعوب الأخرى، وحتى ضد شعبهم في المعتقلات الأسطورية في سيبيريا، وليس بسبب تهديدهم للعالم بصواريخهم، التي تحولت لاحقاً إلى براميل صدئة دفعوا الغالي والرخيص لدفن سمومها!

وعندما أحببنا الإيرانيين فمن أجل سعدي الشيرازي، وعمر الخيام، والسجاد الجميل الذي تبدعه الأيادي الماهرة، والنفوس المبدعة، وليس من أجل الحقد التاريخي ضدنا، ولا من أجل أساطير مضحكة تنتقم للحسين، ولغير الحسين الذين يتمّ اتخاذهم ذريعة لتصريف الحقد والانتقام المرَضيّ من الآخرين!

الإيرانيون والروس اليوم، رمزان للشرّ في بلادنا، ولن تشفع لهم كلّ الأكاذيب التي يكيلونها في تبرير وحشيتهم، وهم يوزعون الحزن على العائلات السورية، ويتيمون الأطفال، كما تَيتّم ابن وبنت أختي بتول، حيث لم يغادر ابنها الكبير محمد سنته الثالثة، ليدخل مع أخته زمناً مرّاً من اليتم، ويُتمُ الأم من أشد العذاب الذي يلحق بالطفل، والعرب تصف الطفل يتيم الأم، باللطيم لشدة العذاب الذي ينتظره في قادم الأيام!

لن نتنازل عن حقنا في الحزن، ولا عن حقنا في رثاء أحبتنا؛ ورغم الألم والعذاب، فإننا لن نتراجع أبداً عن طلب الحرية والكرامة!